السّبيل إلى التّقارب بين الفرق الإسلاميّة

تأليف
أ.د. فرحات بن علي الجعّيري

الأجيال

السّبيل إلى التّقارب بين الفرق الإسلاّمية

تأليف
أ. د. فرحات بن علي الجعبيري

الطبعة الأولي
جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ يونيو ٢٠٠٧م

حقوق الطبع محفوظة

الإخراج والتصميم
المكتب الفني للأجيال

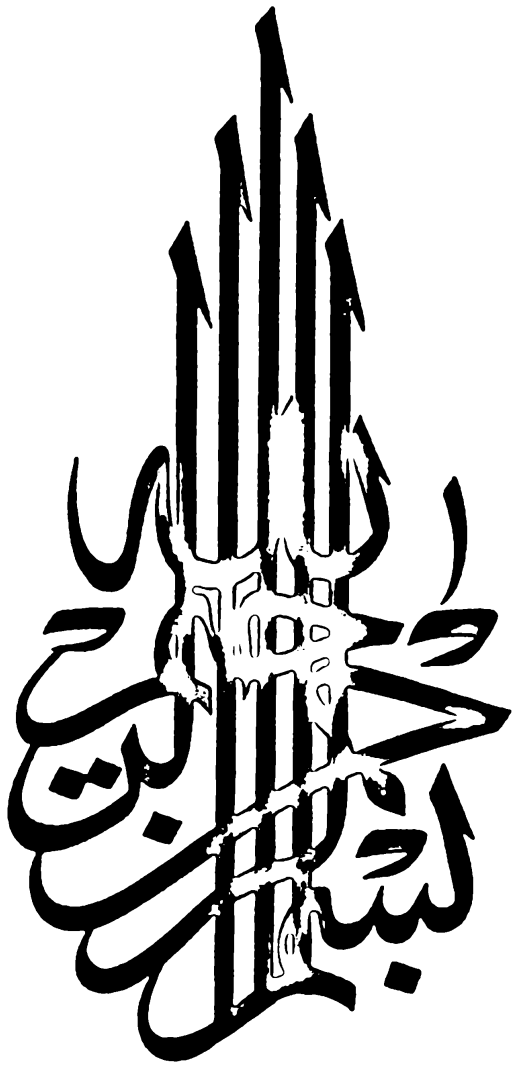

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الدّكتور يحيى بن محفوظ المنذري

رئيس مجلس الدّولة بسلطنة عمان

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِي﴾ (٢١ الأنبياء ٩٢).

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِي﴾ (٢٣ المؤمنون ٥٢).

إنّ الجمع جماعة، والتّفرّق فرقا، ليس من خصوصيّات الإسلام اختصّ بها دون غيره من الأديان والتّجمّعات. إنّما هي ظاهرة إنسانيّة، بل قل حيوانيّة عموما، أو كونيّة بصورة أعمّ. الكون، وكلّ شيء في الكون، حركة لا سكون فيها ولا استقرار على حال. الوجود حركة، وموجد الوجود ﴿هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ (٢ البقرة ٢٥٥)، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٥٥ الرّحمن ٢٩).

اليوم لا يشكّ شاكّ في أنّ الكون له بداية، وأنّه نشأ عن حركة حرّكته في لحظة تبعد عنّا، حسب علماء الفضاء، بزمن يقدّر بخمسة عشر مليار سنة ممّا يعدّون. قضيّة قدم المادّة قد انتهى أمرها، وكم فرّقت علماء الإسلام، من أهل الحديث، وأهل الكلام، وأهل الفلسفة، إلى فرق! وكم حكم بردّة هذا وكفّر ذاك من أجلها! وكم أريقت من دماء بسببها! غفر الله للجميع، إنّهم كانوا لا يعلمون.

إنّ ما يسمّيه علماء الفضاء «بالانفجار العظيم» (Big Bang) الّذي نشأ عنه الكون الّذي نعيش فيه، والّذي أصبح من الحقائق العلميّة الثّابتة بالحساب والمشاهدة، هو ما يسمّيه الله «بالانفطار»، وبذلك سمّيت سورة الانفطار، وهي سورة مكّية تحمل نفس الرّقم في ترتيب النّزول والتّلاوة: ٨٢. وتبدأ هذه السّورة بقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (٨٢ الانفطار ١-٥). وواضح أنّ هذا الانفطار ليس بانفطار البداية، أو ﴿الانفجار العظيم﴾ ، وإنّما هو انفطار النّهاية، نهاية الكون الّذي ينشأ عن قوله: ﴿كُنْ﴾، فالأمر بحركة الامتداد هو الّذي كوّن الكون الّذي لم يزل، حسب علماء الفضاء، في حالة امتداد، أي في حالة دفع بعامل القوّة الطّاردة المركزيّة ، حتّى إذا ما بلغت هذه القوّة الطّاردة نهايتها، وفنيت فاعليّتها، عقبتها حتما قوّة معاكسة، قوّة جاذبة إلى المركز، متسارعة، وهي الّتي توحي بها سورة الانفطار.

فالتّجمّع والتّفرّق هو إذا ناموس الكون، نشاهده في كلّ شيء، في العالم الأكبر والعالم الأصغر على السّواء. فالحركيّة، بِبُعْدَيْها الطّارد والجاذب هي عين الحياة وجوهرها، وفقدانها يعني الموت. فبقدر ما يكون المجتمع حيًا تكون فيه الحركة قويّة، ومنها حركة التّجمّع والتّفرّق، وبقدر ما يضعف ويقترب من الموت، يسوده السّكون والكساد والرّكود في كلّ المستويات وفي المستوى الفكري على الخصوص.

أمر الفرق ما يزال يفرّق بيننا ويقتل أفكارنا.

وهذا ما يكسب مؤلّف فرحات الجّعبيري حَالِيَّتَهُ وحَيْنِيَّتَهُ. فهذا المؤلّف ليس مفيدا لأنّنا نجد فيه تحليلا واضحا لمؤلّف الشّهرستاني فقط، بل لأنّ صاحبه يحُضّ على قراءة نصوصنا «العريقة والحديثة» «قراءة جديدة تعمل على فهم كلّ فرقة من داخل منظومتها» ويدعونا إلى الكفّ عن « التّنابز بالألقاب» عملا بأمر الله، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ (٤٩ الحجرات ١١)، وإلى السّعي إلى التّقارب.

هذا هو الاتّجاه الصّحيح الّذي يمكّننا اليوم جميعا – لا شيعا وأحزابا – من تجديد الفكر الإسلامي. وليس الأمر سهلا. فهناك من يريد أن يقيس الحاضر بمقياس الماضي. وهؤلاء لا نعيب عليهم اتّجاههم ورأيهم. وأنا أعتبرهم من أمّتي، أمّة التّوحيد والعبادة والتّقوى. غير أنّي لا أقبل منهم بأيّ حال من الأحوال اعتماد الإرهاب الفكريّ والجسديّ. إنّي لا أقبل الحوار مع من يمسك بيده خنجر الرّدة، فإذا ما بلغ خلافي معه مبلغا اعتبره من منظوره ردّة، استتابني، أي فرض عليّ اتّباع رأيه، وإن لم أفعل طعنني بخنجره، واعتبر ذلك فرض عين عليه، وعدّه من حسناته الّتي يتقرّب بها إلى الله. إنّي أعتبر – بكلّ وضوح – من يسلك هذا السّلوك، مجرما يجب أن يعامل معاملة كلّ المجرمين بل هو أخطر المجرمين إجراما لأنّه يبرّر الإجرام على قواعد لاهوتيّة تحرّض على الإجرام وتدعو إليه، تنطلي على البسطاء من النّاس وتحوّلهم إلى مجرمين. وما الدّماء الّتي سالت قديما وتسيل اليوم إلاّ من جرّاء هذا الموقف الآثم المجرم. فلا تسامح ولا حوار مع من يبرّر الإجرام ويدعو إليه. فإذا ما كانت في كتب الفرق فائدة، فهي فيما نستخلص منها

من تفرّق أدّى إلى تنافر المسلمين وتناحرهم وإعمال سيوفهم بعضهم في بعض. لا تعامل مع من يبرّر العنف، مهما كان دينه أو مذهبيّته أو فلسفته. هذه هي الفتنة الكبرى.

وهناك خطاب مشتبه، وهو خطاب الكثير من المثقّفين ثقافة غربيّة، من «المولّدين» الّذين ولدوا في بيئة إسلاميّة، وانسلخوا من الإسلام بحكم المثاقفة الغربيّة. وانسلاخهم يصل بهم إلى حدّ الإفصاح والوضوح لأسباب وعقد عديدة في أحسن الحالات، أو قصد التّلبيس المضمر – الّذي لا ننفيه في بعض الحالات – للنّفوذ بصورة أمرن وأنجع إلى غايتهم. ويمكن أن نلخّص هذه الغاية في الاعتقاد أنّه لا منفذ إلى الحداثة إلاّ بالتّخلّص من الإسلام عقيدة وسلوكا، مع المحافظة على إرثه الثّقافيّ الحضاريّ، لما في ذلك الإرث من دعم للهويّة الوطنيّة وإكسابها منزلة لائقة بين الأمم. بل هناك من يرفض هذا الإرث الثّقافيّ في البحث. المعتدلون من الإنسلاخسلاميين لا يرفضون القرآن رفضا كلّيا إلى حد البراءة منه، لكنّهم يعتبرونه عملا بشريّا، حاله حال كلّ النّصوص الأدبيّة، لم يبلغنا على وجهه ولا بتمامه (!!). ويجب أن يعامل القرآن عندهم معاملة كلّ النّصوص الّتي من نوعه (!!)، وذلك يقتضي أوّلا رفع القداسة عنه. وهو موقف ذو ظواهر وبواطن. وقد قلت لبعضهم يوما: «إنّه فيه أخلاقيّة!.» واعتبرت ذلك قدرا أدنى يمكن أن يسلّم به الجميع بقطع النّظر عن الاعتقاد. ففاجأني مبتسما وملامحه تقول: «من أين له ذلك!...».

هؤلاء لو أفصحوا لكان أحسن، لأنّ الحوار معهم – من أجل الحداثة –

يكون أثرى وأفضل. فالإسلامولوجيّة (Islamogogy)، على الطّريقة الغربيّة، هي اختصاصهم. من هذه النّاحية فإنّ إضافتهم لا تفيد إلاّ من يجهل اللّغات الغربيّة. لكنّ الحوار معهم من أجل الحداثة في الفضاء العربيّ الإسلاميّ ضروريّ، لأنّهم جزء من هذا الفضاء. وذلك لأنّ الأمّة، بمفهومها القرآني كما أثبتناه في مستهلّ هذا التّقديم شيء، والوطن شيء آخر. الأمّة مجموعة روحيّة، حدودها من عبادة وتقى، والوطن مجموعة مدنيّة، حدوده ترابيّة. من أمّتي الإسلاميّة كلّ من يتّجه إلى القبلة مهما كان موضع قدميه في الأرض، في الصّين أو الشّيشان، أو السّويد، وهي مفتوحة لكامل البشريّة. وليس من أمّتي من يرفض نداء الله، ولو كان من أقرب أقاربي. فالحوار من أجل الحداثة يجب أن يكون – بكامل الصّراحة والوضوح – بين كلّ الأطراف على اختلاف اعتقاداتهم وآرائهم، بين كلّ فرق يومنا.

وهناك خطاب المفكّر المسلم، وإنّي أعدّ فرحات الجّعبيري مفكّرا مسلما. فهو في مقدّمته يدعو إلى التّقارب بين كلّ المسلمين. وذلك يستلزم طبعا، لا الكفّ عن التّنابز بالألقاب فقط، بل الكفّ عن تبرير العنف والدّعوة إليه أوّلا وقبل كلّ شيء، إذ العنف أشنع.

الطّرد والجذب، وما يتبع ذلك من تجمّع وتفرّق، وائتلاف واختلاف، سنّة الحياة كما أرادها الله. هو سرّ من أسرار الله في الكون من أعلاه إلى أسفله، وهو محرّك الوجود. والتّفرّق الّذي يذمّه الله وينهانا عنه ويحذّرنا منه، هو ذاك الّذي يجرّ إلى العنف وإراقة الدّماء بغير حقّ، ويخرّب الكون ويقوّض أركانه، ويؤدّي إلى الفساد في الأرض، والله ﴿لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٢٨ القصص ٧٧).

قال الله عزّ و جلّ :

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

(٣ آل عمران)

الـرّمـــوز

ت : قبل التاريخ : توفي (ت ٩٣ هـ) .

/ : العدد على يمين الخط : تاريخ هجري. وعلى يساره : تاريخ ميلادي. مثال ١٤٠٨/١٩٨٧.

/ : الرقم قبله يشير إلى الجزء أو المجلد، وما بعده إلى الصّفحة.

= : التّعليق يتواصل في الصفحة الموالية.

البارونية : المكتبة البارونيّة بجربة حومة الحشّان.

ج : جزء.

خ : مخطوط.

المعجم المفهرس : أي لألفاظ الحديث : لونسنك.

ر : راجع.

ص : صفحة.

ط : طبعة.

م : مجلد.

E.I. : Encyclopédie de l'Islam.

$E.I_1$. ancienne ed. El_2 nouvelle ed.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين

المقـدّمـــة

إنّ الكتابة في قضيّة الفرق الإسلاميّة ليست هيّنة، ولا يتصوّر أنّ تدريسها أهون، ولكن ليس معنى هذا أن نستسلم لأنّ الجلوس على الرّبوة أسلم.

لذلك ما فتئ فرع الحضارة في أقسام الآداب العربية بالجامعة التونسية يثير قضيّة الفرق الإسلاميّة إيمانا منه ومن جميع المشرفين عليه أنّه آن الأوان أن نقرأ النّصوص العريقة والحديثة في هذا الشّأن قراءة جديدة تعمل على فهم كلّ فرقة من داخل منظومتها، ومثل هذه القراءة من شأنها أن تناقش الكتابات الشّمولية في هذا الشّأن، تلك القراءات الّتي لم تتمكّن في زمانها لأسباب موضوعيّة من أن توفّر بين يديها نصوص جميع الفرق، ولعدم توفّر هذه النّصوص ظلّ بعضها يأخذ عن بعض على أساس أنّ المتأخّر يثق في الأوّل، واستمّر الأمر على هذه الحال إلى اليوم في بعض الدّراسات التي تكتفي بالنّقل عن الأقدمين على أنّ جميع ما ورد عندهم يكاد يكون مقدّسا، ولم لا نقول مقدّسا عند بعضهم.

في هذا الإطار فكّر أساتذة قسم العربية بكلية الآداب بالقيروان جامعة الوسط في آخر سنة ١٩٨٧ أن يدرّسوا مسألة وسمّوها بـ « نشأة الفرق الإسلاميّة من خلال كتاب الملل والنّحل للشّهرستاني ».

وكان من نصيبنا تدريس هذه القضيّة درسا مدمجا لطلبة السّنة الأولى إجازة عربيّة بتعاون مع زملاء من أهل الاختصاص، وبهذا تمخضّت النّواة الأولى لهذا البحث.

وقد تراءى لنا من ذلك الحين أنّ الشّهرستاني كغيره من المؤلّفين في الفرق الإسلاميّة أبدع في مواطن، وزلّت قدمه في مواطن أخرى، شأنه في ذلك شأن كلّ باحث، يصيب ويخطئ لأنّ الكمال للّه تعالى ولأنبيائه ورسله المعصومين.

ثمّ ازدادت ملاحظاتنا تَبلْورا عندما أتاحت الفرصة أن ننطلق من هذه الملاحظات التي عايشناها مع الزّملاء والطّلبة سنتين جامعيتين (٨٧-٨٩) كما هو الشّأن مع كل المسائل في الجامعة التونسية لإلقاء سلسلة من المحاضرات على طلبة معهد القضاء الشّرعي والخطابة والوعظ والإرشاد التّابع لوزارة العدل والأوقاف بسلطنة عمان سنة ١٩٩١، ثمّ على طلبة كلّية التّربية والعلوم الإسلامية ومن ينضمّ إليهم من بقيّة الكلّيات بجامعة السّلطان قابوس سنة ١٩٩٢، مع الملاحظ أنّ هذه المحاضرات مسجّلة على المسموع والمرئيّ وكان يحضرها زملاؤنا مع طلبتهم.

ثمّ تمكنّا من العودة إلى هذا العمل بشيء من التّمحيص عندما ناقشنا نصوص الشّهرستاني مع طلبة السنة الثالثة آداب عربية بكلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة تونس الأولى لسنة واحدة، سنة ١٩٨٦-١٩٨٧ وذلك ضمن درس موجّه.

لا شك حينئذ أنّنا استفدنا ممّا أثير من نقاش مع طلبتنا ومن زملائنا فلهؤلاء جميعا وغيرهم ممّن ناقشنا معهم القضايا المطروحة في هذا العمل المتواضع جزيل الشّكر.

وبعد أن طرحنا قصّة هذا البحث يحسن أن نثبت أنّنا وطّأنا له بتعريف مختصر للشّهرستاني يفي بالغرض في رأينا.

ثمّ أثرنا قضيّة الافتراق دون تحليل كما جاءت في القرآن الكريم ثمّ في الحديث الشّريف، ولا نخفي هنا اعتمادنا الكلّي في شأن الحديث على عمل زميلنا عمر بن حمادي أستاذ التاريخ بكلية الآداب بمنوبة قسم التّاريخ جامعة تونس الأولى، واختيار المرء جزء من كيانه كما يقال.

ثمّ قسّمنا عملنا إلى مبحثين :

المبحث الأول : خصّصناه لعوامل نشأة الفرق الإسلاميّة، تلك العوامل الّتي كانت سياسيّة وأصوليّة واجتماعيّة وثقافيّة وماليّة حتى لا نقول اقتصاديّة، وبيّنا وعي الشّهرستاني الكامل بهذه العوامل وخاصّة منها السّياسيّة - الإمامة - والأصوليّة ولم لا نقول العقديّة.

المبحث الثاني : وقفنا فيه عند قضيّة شائكة تتعلّق بتسمية الفرق وألقابها، والفرق شاسع من النّقيض إلى النّقيض بين هذين المصطلحين النّحويّن فإن كان الأوّل يعنى الإعجاب أو على الأقلّ مجرّد التّمييز فإنّ الثّاني أساسه الذّم والتّقبيح والتّنابز بالألقاب غالبا.

وانطلاقا من نصوص الشّهرستاني حاولنا أن ننصف كلّ فرقة من صفاتيّة إلى قدريّة إلى شيعة إلى خوارج حسب عبارة الشّهرستاني الأولى في تقسيم كبار الفرق الإسلاميّة، وهذا بالرّجوع إلى كلام الشّهرستاني نفسه أوّلا وإلى منظومات هذه الفرق وما تختاره لنفسها من الأسماء ثانيا.

وفعلا لو سمّى أتباع الفرق الإسلامية بعضهم البعض بما تختاره كلّ فرقة من الأسماء واجتنبوا التّنابز بالألقاب كما قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ (٤٩ الحجرات) لجنّبوا الباحثين عناء كبيرا، ولتمكّنوا من التّقارب فيما بينهم يوما بعد يوم إلى أن يصيروا كالبنيان المرصوص، وهذا ما سعينا وسنسعى إلى تحقيقه إن شاء اللّه تعالى في هذا البحث، وفي غيره من أعمالنا التي نرجو أن تكون علميّة موضوعيّة بقدر الإمكان، ولا ندّعي في ذلك أنّنا أدركنا كبد الحقيقة، بل نحن في أمسّ الحاجة إلى ملاحظات العارفين في هذا الفنّ حتّى نستفيد منها في مستقبل بحوثنا.

أمّا الخاتمة فقد عملنا على أن نحصي فيها مواطن التّوفيق عند الشّهرستاني ومواطن الانزلاق - والميدان كلّه مزالق - واللّه الموفّق إلى الصّواب نعم المولى ونعم النّصير.

فرحات بن علي الجُعْبِيري

تونس في ٢٤ رجب ١٤٢٠

٣ نوفمبر ١٩٩٩

توطئة

إنّ المتأمّل في سيرة أبي الفتح[1] محمّد بن عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد الشّهرستاني (٤٧٩-٥٤٨ /١٠٨٦-١١٥٣)

الأشعري الشّافعي[2] وفي مجموع مؤلّفاته يدرك مدى اهتمامه بالملل والنّحل عامّة وبالفرق الإسلاميّة وعلم الكلام خاصّة، وهاهو يصرّح بذلك بنفسه في مقدّمة

---

١ اسمه محمد بن عبد الكريم بن أحمد، وكنيته أبو الفتح، وشهرته المعروف بها الشّهرستاني، نسبة إلى بلدة «شهرستان» مسقط راسه ومثوى رفاته، وهي شهرستان خراسان، بين نيسابور وخوارزم في اخر حدود خراسان، وهي التي بناها عبد الله بن طاهر امير خراسان في خلافة المامون، وقد اخرجت خلقا كثيرا من العلماء.
– اما مولده، فقد اختلف في تاريخه والراجح انه ولد سنة ٤٧٩هـ وتوفي في شعبان سنة ٥٤٨هـ الموافق ١٠٨٦-١١٥٣م. وبذلك يكون قد عاش قرابة السبعين سنة.
– والشهرستاني من حيث المذهب شافعي، ومن حيث الأصول أشعري، كان إماما مبرّزا فقهيا متكلّما، واعظا محاضرا. قال عنه الخوارزمي في تاريخ خوارزم : « دخل خوارزم واتخذ بها دارا وسكنها مدّة، ثمّ تحوّل إلى خراسان، وكان عالما حسنا، حسن الخط واللفظ، لطيف المحاورة، خفيف المجاضرة، طيّب المعاشرة، تفقه بنيسابور على احمد الخوافي وابي نصر القشيري، وقرا الاصول على ابي القاسم الانصاري، وسمع الحديث على ابي الحسن علي بن احمد بن محمد المدائني وغيره..خرج من خوارزم سنة ٥١٠ / ١١١٧ .
وحجّ في هذه السّنة، ثمّ اقام ببغداد ثلاث سنين، وكان له مجلس وعظ في النظاميّة «وهي أعلى المدارس ببغداد» وظهر له قبول عند العوام، وكان المدرّس بها يومئذ اسعد الميهني، وكان بينهما صحبة سالفة بخوارزم، فقرّبه اسعد لذلك... وكان قد صنف كتبا كثيرة في علم الكلام... ثمّ عاد إلى بلدة شهرستان فمات بها سنة ٥٤٩ / ١١٥٤ او قريبا منها، ومولده سنة ٤٦٩ / ١٠٨٦ ».
– وكان الشهرستاني مولعا بطلب العلم، يطوف بالبلاد الإسلامية يتعلّم ويعلّم، وبلغ من جلال مجالسه العلمية انّها كانت تدوّن وذلك لعمقها. ومن صفوة الشيوخ الذين كانوا يحضرون هذه المجالس : ابو الحسن ابن حمويه، والبيهقي، والإمام ابو منصور، وموفق الدين احمد اللبثي، وشهاب الدين الواعظ، وغيرهم من ائمّة الفقه والعلم.
– وبعد أن اورد المقدّمان نماذج من اراء النقاد في الشهرستاني اوردا ذكر مؤلفاته :
١– الإرشاد إلى عقائد العباد : ذكره الشهرستاني نفسه في كتابه « نهاية الإقدام ».
٢– الاقطار في الاصول. نسبه اليه الخوارزمي.
٣– تاريخ الحكماء. نسبه إليه (كيورتن) في مقدّمته لطبعته لكتاب« الملل والنّحل ».
٤– تلخيص الاقسام لمذاهب الانام، نسبه إليه ابن خلكان، وابو الفداء، وحاجي خليفة.
٥– دقائق الاوهام. نسبه إليه الخوارزمي.
٦– شرح سورة يوسف بعبارة فلسفية لطيفة نسبه إليه الخوارزمي.
٧– العيون والانهار. نسبه اليه البيهقي. =
٨– غاية المرام في علم الكلام. نسبه إليه الخوارزمي.
٩– قصّة موسى والخضر. نسبه إليه البيهقي.
١٠– المبدا والمعاد. نسبه إليه الخوارزمي.
١١– مجالس مكتوبة. راها البيهقي. وكانت المجالس لا تكتب إلاّ نادرا.
١٢– مصارعة الفلاسفة، او المصارعة والمضارعة. نسبه إليه صدر الدين الشيرازي.
١٣– مفاتيح الاسرار ومصابيح الابرار في تفسير القران. نسبه إليه البيهقي.
١٤– المناهج والآيات. نسبه اليه البيهقي وابن خلكان وابو الفداء.
١٥– شبهات ارسطاطاليس وابن سينا ونقضها. ذكرها الشهرستاني نفسه.
١٦– نهاية الاوهام. اشار إليه الشهرستاني في اخر كتابه «نهاية الإقدام»
١٧– نهاية الإقدام في علم الكلام. مطبوع.
١٨– الملل والنّحل، الكتاب الذي نعتمده في بحثنا هذا.
لقد اعتمد لإنجاز هذا العمل كتاب الملل والنحل بتحقيق امير علي مهنّا وعلي حسن فعور.ج١، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ط٤،١٤١٥/١٩٩٥. راينا من المفيد ان نورد ترجمة الشهرستاني التي اوردها المحققان في المقدمة رغم طولها.

كتابه الملل والنّحل : « فلمّا وفّقني اللّه تعالى لمطالعة مقالات أهل الأهواء والنّحل، والوقوف على مصادرها ومواردها، واقتناص أوانسها وشواردها، أردتّ أن أجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ماتديّن به المتديّنون وانتحله المنتحلون، عبرة لمن استبصر، واستبصارا لمن اعتبر ».[٣]

فالرّجل في مقدّمته المنهجيّة هذه لم يحدّد موضوع كتابه ومنهجه إلاّ بعد أن بيّن سعة مصادره ومراجعه وتنّوعها ومدى إلمامه بها، وعيا منه بموسوعيته في هذا الفنّ، فيمكن لنا حينئذ أن نتساءل عن مدى اهتمامه بعوامل نشأة الفرق الإسلاميّة وتسميتها وألقابها، تلك الفرق التي خصّص لها الباب الأوّل من هذا الكتاب في فصوله الستّة الأولى، كما لنا أن نتساءل عن مدى التزامه بالموضوعيّة التي اشترطها على نفسه في المقدّمة الثّانية من الكتاب بقوله : « وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كلّ فرقة على ما وجدّته في كتبهم، من غير تعصّب لهم، ولا كسر عليهم، دون أن أبيّن صحيحه من فاسده، وأعيّن حقّه من باطله... »[٤] عند اهتمامه بالقضيّتين المطروحتين في التّساؤل الأوّل.

و يحسن هنا أن نوطّئ لهذه الإجابة بالنّظر في قضيّة الفرق كما جاءت في القرآن الكريم والحديث الشّريف.

أ- القرآن الكريم وقضيّة الفرق

يتعرّض الشّهرستاني في كتاب الملل والنّحل أثناء الحديث عن الفرق إلى عديد من الآيات الكريمة، مع العلم أنّ هذه النّصوص هي منطلق جميع علماء الكلام، فلذلك يحسن أن نتأمل في ما جاء في القرآن الكريم عن الفرق.

---

٣ الملل : ١/١٧.
٤ ن.م : ١/٢٢.

يعتبر الشّهرستاني في المقدّمة الثّالثة من كتاب الملل والنّحل، جاءت بعنوان: « في بيان أوّل شبهة وقعت في الخليقة وانشعابها »، أنّ أوّل شبهة في الخليقة ترجع إلى موقف إبليس اللّعين من آدم عليه السّلام[٥]، ويحلّل القضيّة تحليلا موسّعا فيعتبر أنّ كلّ الفرق انطلقت في عديد من شبهها من طريقة إبليس في التكبّر على آدم وفي الإعراض عن السّجود له.

ولا نريد أن نقف عند هذا التّفسير لقضيّة الفرق، وإنّما هي إحدى وجهات نظر الشّهرستاني ينبغي ألاّ نغفل عنها، وقد وردت قصّة آدم عليه السّلام مع إبليس اللّعين في مواطن عديدة في القرآن الكريم[٦].

وإن لم يقف الشّهرستاني صراحة عند الآيات القرآنية التي تُعالج قضيّة الافتراق فإننا نلمس أثرها في عديد من المواطن من كتابه[٧] لذلك أحببنا أن نقف عند هذه الآيات لنتبيّن مدى تنديدها بمساوئ الافتراق وعرضها لطريقة العلاج عندما تبدو ملامح الافتراق في أفق حياة الأمّة المسلمة.

والمتأمّل في الكتاب العزيز يلمس أن مادة .ف. ر. ق. وردت فيه عدّة مرّات، وفي صيغ متعدّدة[٨] إلاّ أنّ ما يهمّنا منها يمكن أن يتمثّل فيما يلي:

١- النّهي عن الاقتداء بالأمم السّابقة الذين توزّعوا إلى فرق: يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. (٣ آل عمران ١٠٥) ويقول تعالى أيضا: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ

٥ ن.م: ١/٢٣-٢٨

٦ ر. جول لابوام: تفصيل آيات القرآن الكريم. نقلها إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي. دار الكتاب العربي. بيروت ١٩٦٩. ص٤٦٦-٤٦٨.

٧ مثال في تعيين قانون يبنى عليه تعداد الفرق الإسلاميّة ص٢٠-٢١ المقدّمة الثّالثة: في بيان أوّل شبهة وقعت في الخليقة. ص٢٣-٢٨. المقدّمة الرّابعة: في بيان اول شبهة وقعت في الملّة الإسلاميّة ص٢٨-٣٢.

٨ محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم.

أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ(٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (٩٨ البينة ٤-٥).

فالقرآن الكريم حينئذ ينهى المؤمنين عن الافتراق ويذكّرهم بما وقع للأمم السّابقة وخاصّة من أهل الكتاب الذين جاءتهم البيّنات وتنزّل عليهم الوحي، ومع ذلك تصّدع صفّهم، واختلفت كلمتهم، وافترق شملهم، واللّه تعالى يتوعّدهم بأشدّ العذاب.

٢- الرّسول محمّد عليه السّلام ليس من الّذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا : قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٦ الأنعام ١٥٩).

إنّ جلّ كتب التّفسير تنطلق من هذه الآية لتبيّن أسباب افتراق المسلمين ولتذكّرهم ببعدهم عن سيرة الرّسول عليه السّلام ذاك الذي وحّد الأمّة تحت لواء الإسلام، إذ أنّهم بافتراقهم يكونون بعيدين عن مسلك الرّسول عليه السّلام، ثمّ يتوعّدهم القرآن بأنّ اللّه محاسبهم على هذا الافتراق أدقّ الحساب[٩].

٣- القرآن يدعو إلى الاعتصام بحبل اللّه المتين : يقول تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٣ آل عمران ١٠٣).

٩ ر. محمد عبده ورشيد رضا : تفسير المنار. دار المنار. القاهرة. ١٣٧١/١٩٥٢. ج٨ / ص٢١٣-٢٣٢.

أثيرت العصبية القبليّة والجنسيّة زمن الرّسول عليه السّلام وكادت تفرّق شمل الصّحابة رضوان اللّه عليهم فتنزّلت هذه الآية تذكّر المسلمين بضرورة التّمسّك بحبل اللّه وهو القرآن الكريم، ونهت عن التّفرقة مذكّرة بنعمة الإسلام على هؤلاء المسلمين الذين صيّرهم الإسلام أمّة بعد أن كانوا أشتاتا متناثرين. ولا ينبغي أن نغفل هنا عن تأليف الرّسول عليه السّلام بين الأوس والخزرج، ثمّ عن مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، إلى أن اتّحد صفّ المسلمين وصاروا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

٤- **النّهي عن اتّباع السّبل** : يقول جلّ جلاله : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٦ الأنعام ١٥٣).

عن عبد اللّه بن مسعود (٣٦ / ٦٥٣) قال : خطّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم بيده خطّا ثمّ قال : « هذا سبيل اللّه مستقيما »، ثمّ خطّ خطوطا عن يمين ذلك وعن شماله ثمّ قال : « وهذه السّبل ليس منها سبيل إلاّ وعليه شيطان يدعو إليه » ثمّ قرأ هذه الآية[١٠].

٥- **التّنازع يورث الفشل** : يقول تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(٨الأنفال ٤٦). وإن جاءت هذه الآية متحدّثة عن أحوال الحرب فإنّها تصلح أيضا لأحوال السّلم، ذاك أن النّزاع مهما كان نوعه يورّث الفرقة، ولا ينتج عن التّفرق إلاّ التّصدّع والوهن.

١٠ ن.م : ٨/ ١٩٤-٢٠٠. حديث «وهذا السبيل» : الدّارمي : مقدّمة ٢٣. أحمد ابن حنبل : ١، ٣٥، ٤٦٥.

٦- افتراق النّاس إلى أحزاب ولا يفلح إلاّ حزب اللّه : يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِي فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٢٣ المؤمنون٥٢-٥٣)، ويقول تعالى : ﴿ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴾ ٥٨ (المجادلة ١٩)، ويقول أيضا :﴿ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٥٨ المجادلة ٢٢)، واضح من هذه النّصوص أنّ القرآن الكريم ينهى عن التّحزّب للشّيطان وكلّ ما يتّصل به من زيغ وبدع وضلال، ويدعو إلى الاتّحاد والتّحزّب للّه تعالى لمن أراد الفلاح في الدّارين، وفي هذا دعوة صريحة إلى توحيد كلمة الأمّة، وإلحاح على اجتناب كلّ أنواع التّفرقة.

٧- حرص أهل الكتاب على إضلال المسلمين : يقول عزّ من قائل : ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٣ آل عمران ٦٩)، وإنّنا نعلم تاريخيا مصداق هذه الآية الكريمة، إذ من أكبر دسائس أهل الكتاب العمل على غرس التّفرقة بين المسلمين، وكتب الفرق تلحّ على دور عبد اللّه بن سبأ (نحو ٤٠/٦٦٠) في إشاعة معتقدات ترمي إلى تكسير وحدة المسلمين.

٨- العلاج المقترح عند ظهور بذور الافتراق : يقول تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٤٩الحجرات ٩- ١٠).

إنّ المتأمّل في كتب التفسير وكتب التّاريخ وكتب الفرق يتبيّن أنّ المسلمين تنازعوا هذا النّص القرآني تنازعا كبيرا خاصّة في معركة صفّين (٦٥٧/٣٧)، وظلّت كلّ فئة تعتبر أنّ الفئة الأخرى هي الباغية، ومن ذلكم التّنازع الذي غلب فيه المسلمون على أمرهم لأسباب عديدة انبثقت بذور الافتراق بعد أن كانت هذه الأمّة واحدة متماسكة متمسّكة بكتاب اللّه تعالى وسنّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم.

الحديث الشّريف وقضيّة الافتراق :

يقول الشّهرستاني بعد أن بيّن طرق من سبقوه في تقسيم أهل العالم ما يلي :

«ويفترق كلّ منهم فرقا. فأهل الأهواء ليست تنضبط مقالاتهم في عدد معلوم. وأهل الدّيانات قد انحصرت مذاهبهم بحكم الخبر الوارد فيها، فافترقت المجوس على سبعين فرقة، واليهود على إحدى وسبعين فرقة والنّصارى على اثنتين وسبعين فرقة، والمسلمون على ثلاث وسبعين فرقة، والناجية أبدا من الفرق واحدة، إذ الحقّ من القضيّتين المتقابلتين في واحدة، ولا يجوز أن يكون قضيتان متناقضتان متقابلتين على شرائع التّقابل إلاّ أن تقتسما الصّدق والكذب، فيكون الحقّ في إحداهما دون الأخرى، ومن المحال الحكم على المتخاصِمَيْن المتضَادَّيْن في أصول المعقولات بأنّهما محقّان صادقان.

وإذا كان الحقّ في كلّ مسألة عقلية واحدا، فالحقّ في جميع المسائل يجب أن يكون مع فرقة واحدة، وإنّما عرفنا هذا بالسّمع وعنه أخبر التّنزيل في قوله عزّ وجلّ:

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (٧ الأعراف ١٨١)، وأخبر النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام : « ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، النّاجية منها واحدة، والباقون هلكى ». قيل : « ومن النّاجية ؟ » قال : « أهل السّنّة والجماعة». قيل : « وما السّنّة والجماعة ؟ » قال : « ما أنا عليه وأصحابي».

وقال عليه الصّلاة والسّلام : « لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ إلى يوم القيامة ».

وقال عليه السّلام : « لا تجتمع أمّتي على ضلالة »[11] .

فالشّهرستاني حينئذ ينطلق من هذا الحديث عن افتراق الأمّة ليقرّر حقيقتين، أولاهما أنّ الحقّ لا يكون إلاّ مع فرقة واحدة في القضايا العقديّة، ثانيتهما أنّ الأمّة الإسلاميّة افترقت إلى ثلاث وسبعين فرقة وقد حرص على ضبطها وإحصائها في كتابه.

والملاحظ أنّه، وإن اتّفقت جلّ كتب الفرق على الانطلاق من هذا الحديث باستثناء الأشعري في مقالاته، فإنّ لكتب الحديث والاستدراك والموضوعات مواقف منه نكتفي بذكر أهمّها.

أمّا مالك (٧٩٦/١٧٩) والبخاري (٨٧٠/٢٥٦) ومسلم (٨٧٥/٢٦١) والنّسائي (٩١٦/٣٠٣) فلم يخرّجوا هذا الحديث.

---

١١ الشّهرستاني : الملل ١/١٩-٢٠. حديث الافتراق وقع تخريجه مباشرة في البحث اعتمادا على مقال عمر بن حمادي.
- حديث «لا تزال» جاء في معجم المفهرس بصيغة لا يزال : البخاري : اعتصام، ١، مناقب ٢٨، توحيد ٢٩. مسلم : إيمان ٢٤٧، إمارة، ١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧. ابو داود: جهاد ٤، فتن ١، الترمذي: فتن٥١،٢٧. ابن ماجة: مقدّمة ١، فتن٩. الدارمي: جهاد ٣٨. احمد بن حنبل : ٤، ١٠٤، ٥، ٣٥، ٢٦٩، ٢٧٨، ٢٧٩.
- حديث « لاتجتمع» جاء مؤكدا بإنّ في ابن ماجة : فتن ٨.

- بينما أبو داود (٨٩١/٢٧٧) والتّرمذي (٨٩٣/٢٧٩) وابن ماجه (٨٩٧/٢٨٣) فقد اتّفقوا على إثباته.

- كما أنّ الحاكم النّيسابوري (١٠١٧/٤٠٥) قد أثبته في كتابه المستدرك على الصّحيحين.

- كما أنّ ابن الجوزي الحنبلي (١٢٠١/٥٩٧) قد أثبته كما يلي : بعد أن روى الحديث رواية خاصّة بيّن أن لا أصل لها وهي : « تفترق أمّتي على سبعين أو إحدى وسبعين فرقة كلّهم في الجنّة إلاّ فرقة واحدة. قالوا : يا رسول اللّه : من هم؟ قال : « الزّنادقة والقدريّة » ثمّ يضيف : « بلى ... قد رواه عن رسول اللّه عليّ بن أبي طالب وسعد بن أبي وقّاص ...قالوا فيه : واحدة في الجنّة وهي الجماعة » كتاب الموضوعات الكبرى ٢٧٦/١.

ونرى من المفيد هنا أن نذكر خمسا منها.

١- ابن ماجه... عن أبي هريرة :» تفرّقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة و تفترق أمّتي على ثلاث و سبعين فرقة».

٢- أحمد بن حنبل... عن أنس بن مالك :» أنّ بني إسرائيل قد افترقت على اثنتين و سبعين فرقة، وأنتم تفترقون مثلها، كلّها في النّار إلاّ فرقة ».

٣- ابن ماجه... عن عوف بن مالك : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنّة وسبعون في النّار، وافترقت النّصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النّار وواحدة في الجنّة، والذي نفس محمد بيده لتفترقنّ أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنّة واثنتان وسبعون في النّار. قيل يا رسول اللّه من هم ؟ قال : « الجماعة ».

٤- أحمد بن حنبل وأبو داود... عن معاوية بن أبي سفيان :«إنّ أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملّة، وإنّ هذه الأمّة ستفترق على ثلاث وسبعين ملّة يعني - أهل الأهواء- كلّها في النّار إلاّ واحدة وهي الجماعة، وإنّه سيخرج من أمّتي أقوام تجاري بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلاّ دخله».

٥- التّرمذي... عن عبد اللّه بن عمرو:» سيأتي على أمّتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النّعل بالنّعل، حتّى من كان منهم من أتى أمة علانية لكان في أمّتي من يصنع ذلك، وإنّ بني إسرائيل تفرّقت على اثنتين و سبعين ملّة و تفرّقت أمّتي على ثلاث و سبعين ملّة، كلّهم في النّار إلاّ ملّة واحدة، قال:» من هي يا رسول اللّه؟ « قال:» ما أنا عليه و أصحابي».

والخلاصة أن كتب الحديث لم تتّفق على إخراج كلّ الرّوايات وأنّ أحمد ابن حنبل قد استأثر بإخراج أكبر عدد من الرّوايات المذكورة.

وهذه الرّوايات يمكن أن نصنّفها إلى ثلاث أصناف :

١- من الصّنف المحايد : لأنّها اكتفت بذكر الرّقم فقط.

٢- من الصّنف المستثني : لأنّها اكتفت باستثناء الفرقة النّاجية دون أن تحدّد هويّتها.

٣,٤ و٥- الصّنف المنحاز: لأنّها تنصّ على هويّة الفرقة النّاجية.

والحقيقة أنّ عمر بن حمادي[١٢] قد محّص هذه القضيّة أحسن تمحيص، وذاك هو ما وصل إليه في شأن مختلف الرّوايات، وليس لنا أن ننقل هذا العمل برمّته، وإنّما نكتفي بضبط ما وصل إليه من نتائج وهي :» وتحليلنا للأغراض التي يرمي إليها هذا الحديث في روايته الأكمل أي الرّواية المنحازة، نراه يسجّل لنا ثلاث نقاط رئيسيّة هي : كثرة الفرق الموجودة، كلّ هذه الفرق في النّار إلاّ واحدة. «الفرقة النّاجية» هي : « الجماعة ». فهو إذن حديث يحارب الافتراق ويهدّد الفرق من ناحية، ويدعو إلى التّمسك « بالجماعة » لأنّ ذلك هو سبيل النّجاة من ناحية أخرى. فهو حديث يمجّد في الواقع أولائك الذين يطلقون على أنفسهم اسم « أهل السّنّة والجماعة » ويعكس لنا حالة صراع كبير كان قائما بين مختلف الفرق...

فنحن نلاحظ... أنّ كتب الردّ المعبّرة عن هذا الصّراع قد ازداد عددها منذ فجر القرن الثّالث هجريّا/٩ ميلاديّا، وقد شمل ذلك المشرق والمغرب على السّواء، وقد كانت الفرق المتصارعة تستعمل أسلحة مختلفة من بينها الاستشهاد بالحديث لمعاضدة آرائها فازدهرت حركة الوضع وظهرت حركة نقد الحديث، لذلك يمكن القول إنّ هذا الحديث قد وضعته إحدى الفرق لمواجهة الفرق الأخرى.

أمّا عن هويّة هذه الفرقة، فإنّ أوّل الأسماء التي تتبادر إلى الذهن فرقة أهل السّنّة والجماعة، لما نجده، في بعض روايات هذا الحديث من تأكيد على التّمسك بالجماعة...

ثمّ بعد التّساؤلات والتّحليل يقول : « لذلك، ونظرا إلى العوامل التي وقعت

١٢ عمر بن حمدي أستاذ بقسم التّاريخ بكلية الآداب منّوبة، جامعة تونس الأولى، معاصر.

الإشارة إليها، فإنّ الاحتمال الثّاني أقرب إلى القبول، أي أنّ الرّواية المنحازة هي التي ظهرت أوّلا في خضم الصّراع الذي كان قائما بين « أهل السّنّة والجماعة»، من ناحية، والفرق المعادية لها من ناحية أخرى. وأنّ الرّوايات الأخرى كانت محاولات تحطيميّة للرّواية المنحازة...

وأخيرا فإنّ هذا الحديث الذي هو وليد وضعيّة فكريّة تمتاز بالصّراع، أي بالحركيّة والنّشاط، أتى في الحقيقة ليحارب الواقع الذي أفرزه. فهو أتى ليحارب التّفرق، أي التّنوّع والخلق اللّذين بدونهما لا يمكن التّطوّر. لذلك كان هذا الحديث ينطوي على خطورة كبيرة في صورة انتصار أصحابه وهو بالفعل ما وقع بداية من القرن الخامس/١١، عقب ما سمّي بـ« الانتصار السّنّي ». فاشتدّت محاربة ما يسمّى بـ« البدع »، أي محاربة « التّجديد »، واستقرّ نوع من الجمود الفكري الذي لا يمكن إنكاره بداية من القرن السّادس/١٢، ويمكن القول إنّ هذا الحديث كان من جملة الأحاديث والأقوال التي ساهمت في انتشار تلك العقليّة.

فهذا الحديث هام جدّا. وحكمنا عليه بالوضع لا ينقص البتّة من قيمته التّاريخية، لأنّه يمكن اعتباره من تلك الأحاديث التي ساهمت في نحت جانب من الجوانب العقليّة للعالم الإسلامي. لذلك فهو يهمّ - إلى جانب علماء الحديث - كلّ المهتمّين بتاريخ العقليّات. كما أنّ هذا الحديث هامّ لما قد يلعبه من دور في عصرنا الحاضر إذا وقع استغلاله من طرف الذين يرون في « الجماعة»: عدم « الخروج عن الصّفّ »، وفي «الفرق الهالكة »: كلّ الاتّجاهات التي تهدّد « الاستقرار» وتتعارض مع أفكارهم »[١٣].

١٣ عمر بن حمّادي : مقال حول حديث «افتراق الأمّة إلى بضع وسبعين فرقة». الكرّاسات التونسية سنة ١٩٨١. عدد ١١٥-١١٦. ص ٢٨٧-٣٥٧. رأينا من المفيد أن نتوسّع في شأن الحديث عن الافتراق بالاعتماد على هذا المقال لأنّه في رأينا يستوفي الغرض المطلوب من هذا الحديث، ولذلك اكتفينا بمجرد الإحالة عليه، مع اقتباس المهمّ لبحثنا.

وبعد هذا نقول مهما تنوّعت المواقف من هذا الحديث وغيره فإنّ الأمّة افترقت إلى فرق وكفى، ولا سبيل لها إلى النّهوض من كبوتها إلاّ إذا تآلفت وتعاونت.

وبعد هذه التّوطئة نأتي إلى العوامل السياسيّة والأصوليّة والثّقافية والاجتماعية والماليّة لنشأة الفرق الإسلاميّة كما تستفاد من كتاب الملل والنّحل للشّهرستاني.

المبحث الأوّل

عوامل نشأة الفرق الإسلاميّة

١- العوامل السّياسيّة:

أ) قضيّة الإمامة :

يقول الشّهرستاني : « وانقسمت الاختلافات بعده (الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم) إلى قسمين أحدهما الاختلاف في الإمامة »[١٤] . نلمس أن الشّهرستاني على وعي تام بأهميّة الاختلاف في الإمامة من حيث أثره في تفريق الأمّة قولا وعملا، إذ تحوّل الصّراع من الجدل إلى حدّ السّيف، ونصّ الشّهرستاني صريح في ذلك : « وأعظم خلاف بين الأمّة خلاف الإمامة، إذ ما سلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينيّة مثل ما سلّ على الإمامة في كلّ زمان »[١٥] . وهذه العوامل السّياسيّة نتّبع فيها مرحلتين.

١- حدث السّقيفة وتوجيه الفرق له فيما بعد :

يعتبر الشّهرستاني ما حدث في السّقيفة الخلاف الخامس[١٦] بعدوفاة الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم، وقد روى وقائع هذا الحدث دون تدخّل كبير، إلاّ أنّه اعتبره فلتة لا يمكن أن تتكرّر حيث قال : « إلاّ أن بيعة أبي بكر (٦٣٥/١٣) كانت فلتة وقى اللّه المؤمنين شرّها، كما أنّه ذكر الذين امتنعوا عن البيعة بقوله : «سوى جماعة من بني هاشم، وأبي سفيان من بني أميّة، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (١٦٦/٤٠) كرّم اللّه وجهه كان مشغولا بما أمره النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم من تجهيزه ودفنه وملازمته قبره من غير منازعة ولا مدافعة »[١٧] .

١٤ الشّهرستاني : الملل. ٣٦/١.
١٥ ن.م. ٣١/١.
١٦ أمّا الخلافات الأربعة التي ذكرها الشّهرستاني قبل هذا الخلاف فهي:
الخلاف الأوّل : تنازع الصّحابة عندما طلب الرّسول عليه السّلام دواة وقرطاسا وهو يحتضر.
– الخلاف الثّاني : تجهيز جيش أسامة والاختلاف فيه.
– الخلاف الثّالث : في موته عليه السّلام.
– الخلاف الرّابع : في موضع دفنه عليه السّلام. ص٣٠-٣١.
١٧ ن.م : ٣١/١.

وإن لم يتدخّل الشّهرستاني في هذا الحدث فإنّنا نعتبره حدثا موضوعيّا يستوجبه الواقع إثر وفاة الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم، ونلمس من خلال ما دار من حوار أنّ المواقف لم تكن تحمل خلفيات مبيّته، بل امتاز الحوار بالتّلقائيّة والعفويّة، وبرزت فيه اجتهادات الصّحابة الحاضرين آنذاك، إلاّ أنّ هذه الاجتهادات استغلت فيما بعد، وضخّمت أكثر ممّا ينبغي، فكانت بذورا لعديد من الاتّجاهات كثيرا ما تحوّلت بالمواقف عن وجهتها الأولى، والمهمّ أن التّسمية بالأنصار والمهاجرين لم يكن لها أثر في تسمية الفرق فيما بعد، مع العلم أنّ الوضع استقرّ استقرارا تامّا زمن أبي بكر وعمر.

وقد تجلّى أثر السّقيفة خاصّة في واحد من وجوه تولية الإمام عند المنظّرين للإمامة ألا وهو البيعة وهذه الوجوه هي:

١) البيعة لأبي بكر وهي ضرب من الشورى.

٢) ولاية العهد من أبي بكر لعمر مع الإلحاح على انتفاء الوراثة.

٣) الشّورى بين أهل الحلّ والعقد كما أمر عمر (٢٣/٦٤٤) عند وفاته.

٢- تمخّض الافتراق عن الفتنة :

يذكّر الشّهرستاني بتداعي الأوضاع في النّصف الأخير من عهد عثمان (٢٣-٣٥/٦٤٣-٧٥٦) فيما اعتبره الخلاف التّاسع بعد وفاة الرّسول عليه السّلام، وبلحّ خاصّة على ما عابه النّاس على عثمان في شأن تقريب ذوي القربى رغم وجود من هو أكفأ منهم. كما يذكّر في الخلاف العاشر بأنّ بيعة عليّ شرعيّة لكنّها

سرعان ما انبثق عنها ما سمّي بمعركة الجمل (٣٦/٦٥٧) ثمّ ما عرف بحركة الزّبيريين، لكنها لم تبق أثرا لفرقة لها أصولها[١٨].

ثمّ يقول: « الخلاف بينه وبين معاوية، وحرب صفّين (٣٧/٦٥٧)، ومخالفة الخوارج، وحمله على التّحكيم، ومغادرة عمرو بن العاص (٤٣/٦٦٤) أبا موسى الأشعري (٤٤/٦٦٥)، وبقاء الخلاف إلى وقت وفاته مشهور »[١٩].

واضح إذن أنّ معركة صفّين كانت القطرة التي أفاضت الكأس و اتّضح بعدها توزّع الأمّة إلى ثلاثة اتجاهات:

- جماعة عليّ (٣٥-٤٠/٦٥٦-٦٦١).

- جماعة معاوية (٤٠-٦٠/٦٦١-٦٨٠).

- جماعة لا مع هذا ولا مع ذاك، بايعت عبد اللّه بن وهب الرّاسبي (٣٨/٦٥٨)[٢٠] عرفت فيما بعد بتسميات عديدة لقّبها الشّهرستاني بالخوارج.

ثمّ يقول الشّهرستاني: « وانقسمت الاختلافات بعده (علي) إلى قسمين: **أحدهما الاختلاف في الإمامة... والاختلاف في الإمامة على وجهين:**

أحدهما: القول بأنّ الإمامة تثبت بالاتّفاق والاختيار.

والثّاني: القول بأنّ الإمامة تثبت بالنّص والتّعيين.

فمن قال إنّ الإمامة تثبت بالاتّفاق والاختيار:

---

١٨ ن.م: ١/٣٢.
١٩ ن.م: ١/٣٥.
٢٠ انظر ما يلي: ص: ٧٦

قال بإمامة كلّ من اتّفقت عليه الأمّة أو جماعة معتبرة من الأمّة.

- إمّا مطلقا.

- وإمّا أن يكون قرشيّا على مذهب قوم.

- وبشرط أن يكون هاشميّا على مذهب قوم.

- إلى شرائط أخرى كما سيأتي.

ومن قال بالأوّل، قال بإمامة معاوية وأولاده من بعدهم بخلافة مروان (٦٥/٦٨٥) وأولاده.

والخوارج اجتمعوا في كلّ زمان على واحد منهم بشرط أن يبقى على مقتضى اعتقادهم، ويجري على سنن العدل في معاملاتهم، وإلاّ خذلوه وخلعوه، وربّما قتلوه[٢١] .

والملاحظ أن تحليل الشّهرستاني يعكس واقع انقسام الأمّة بعد استقرار الأوضاع بعد معركة صفّين.

فالجماعة التي رأت أنّ الإمامة تثبت لكلّ من اتّفقت عليه الأمّة أو جماعة معتبرة من الأمّة انشطرت إلى شطرين :

الشّطر الأوّل : يرى أن هذا الاختيار يكون مطلقا وهذا موقف من عرفوا بالمحكّمة أو أهل حروراء أو أهل النّهروان وهم الذين سمّيناهم قبل حين بجماعة عبد اللّه بن وهب الرّاسبي إذ اعتبر هؤلاء أنّ الإمامة شورى بين المسلمين على

٢١ ن.م : ٣٦/١.

شرط أن يكون الإمام عادلا مهما كان جنسه فإن تخلّى عن العدل يخلع وربّما يقتل ومن هؤلاء بقيت الإباضيّة، وإن أطلق عليهم النّاس لقب الخوارج فإنّهم يتبرّؤون منه.

الشّطر الثّاني : وهو الذي ساد البلاد والعباد، وهم الذين قيّدوا اتفاق الأمّة بشرط آخر وهو القرشيّة، وقد مثّل هذا الموقف جماعة معاوية أي الاتّجاه الأموي في البداية ثمّ تحوّل الشّرط إلى فرع بني مروان من بني أميّة وقد تبنّى هذا الموقف بنو العبّاس الذي أضافوا الهاشميّة إلى القرشيّة وقد استند هؤلاء إلى الحديث : « الأئمّة في قريش »[٢٢] .

والشّهرستاني يسكت عن تحويل هذا التّيار الأمويّ الخلافة إلى ملك عضوض وراثي حسب عبارة ابن خلدون (١٤٠٦/٨٠٨) في المقدّمة.

وهذا التّيار يسمّيه الشّهرستاني بالصّفاتيّة فيقول : « وكان بين المعتزلة وبين السّلف في كلّ زمان اختلافات في الصّفات، وكان السّلف يناظرونهم عليها لا على قانون كلاميّ بل على قانون إقناعيّ ويسمّون الصّفاتيّة : فمن يثبت صفات الباري تعالى معاني قائمة بذاته، ومن مشبّه صفاته بصفات الخلق، وكلّهم يتعلّقون بظواهر الكتاب والسّنّة »[٢٣] .

وهذا التّيار هو نواة ما عرف فيما بعد بأهل السّنّة والجماعة، والسّنّة حسب هؤلاء هي سنّة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام بينما تعتبر التّيارات المخالفة، وخاصّة منها التّيار العلوي، أن المقصود بالسّنّة سنّة لَعْنِ عليّ في الجُمَع كما يذكر

٢٢ حديث «الأئمّة من قريش»: أحمد بن حنبل ٣، ١٢٩، ١٨٣. ٤، ٤٢١.
٢٣ الملل. ١/٤٤.

ذلك المهدي المرتضى (٩٢٢/٣٤٠) في كتابه المنيّة والأمل في شرح الملل والنّحل ص ١٠٦.

أمّا الجماعة التي قالت إنّ الإمامة تثبت بالنّص والتّعيين فقد أطال الشّهرستاني في ذكر اختلافهم ووصل به إلى ما لا يقلّ عن سبعة وعشرين موقفا ويمثّل هذا التّيار جماعة عليّ وهم الذين عرفوا بالشّيعة فيما بعد.

ونكتفي بذكر فرقتين من فرق الشّيعة على سبيل المثال لنفهم موقفهم من الوصيّ.

الزّيديّة : « أتباع زيد بن عليّ (٧٤٠/١٢٢) بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنهم، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي اللّه عنها ولم يجوّزوا ثبوت الإمامة في غيرهم... وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل. فقال : كان عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه أفضل الصّحابة إلاّ أنّ الخلافة فوّضت لأبي بكر الصّديق لمصلحة رأوها، وقاعدة دينيّة راعوها، من تسكين نائرة الفتنة، وتطييب قلوب العامّة »[٢٤] .

ثمّ بيّن كيف أفضت الخلافة إلى عمر ولوم النّاس لأبي بكر وجوابه «لو سألني ربّي لقلت : ولّيت عليهم خيرهم لهم.» ثمّ يواصل الشّهرستاني فيقول: «وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماما والأفضل قائم فيرجع إليه في الأحكام، ويحكم بحكمه

٢٤ ن.م : ١/١٨٠. عن الزّيديّة : ر. EI2 tome 3. p 1194-5 =
زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٧٩-١٢٢/٦٩٨-٧٤٠) كانت إقامته بالكوفة، وقرأ على واصل بن عطاء واقتبس منه الاعتزال. قاتل الامويين وانتهت الحرب بقتله في الكوفة. هو إمام الزيدية من الشيعة. يقولون بجواز إمامة المفضول مع وجود الافضل. للإمام زيد «مجموع في الفقه». ط. ر. الزركلي : الاعلام ٣/٥٩، ومحمد ابا زهرة: الإمام زيد حياته وعصره، اراؤه وفقهه. بيروت ١٣٧٨/١٩٥٨.

في القضايا »[٢٥] . وبهذا يذكّر بما كان من عمر رضي اللّه عنه من استشارة عليّ كرّم اللّه وجهه في عديد من القضايا ليعمل باستشارته.

ثمّ يقول الشّهرستاني : « ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه، وعرفوا أنه لا يتبرّأ من الشّيخين رفضوه (زيد بن علي) حتّى أتى قدره عليه، فسمّيت رافضة »[٢٦] .

وبهذا نتبيّن مدى مرونة الزّيديّة في قضيّة الإمامة ولماذا لقّبت الرافضة رافضة وهو ردّ فعل على هذا الموقف المتسامح.

الإماميّة : « هم القائلون بإمامة عليّ رضي اللّه عنه بعد النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، نصّا ظاهرا، وتعيينا صادقا، من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين. قالوا : وما كان في الدّين والإسلام أمر أهمّ من تعيين الإمام، حتّى تكون مفارقته (عليه السّلام) الدّنيا على فراغ قلب من أمر الأمّة، فإنّه إنّما بعث لرفع الخلاف، وتقرير الوفاق، فلا يحوز أن يفارق الأمّة ويتركهم همّلا (أي دون راع يرعاهم) يرى كلّ واحد منهم رأيا، ويسلك كلّ واخد منهم طريقا لا يوافقه في ذلك غيره، بل يجب أن يعيّن شخصا هو الرّجوع إليه، وينصّ على واحد هو الموثوق به والمعوّل عليه، وقد عيّن عليّا رضي اللّه عنه في مواضع تعريضا، وفي مواضع تصريحا »[٢٧] .

---

٢٥ ن.م : ١/ ١٨٠.
٢٦ ن.م : ١/ ١٨٠.
٢٧ ن.م : ١/ ١٨٩, ١٩٠.
– الإماميّة : ضبطت مبادئهم مع جعفر الصّادق (١٤٨/٧٦٥) يقولون بعصمة الإمام، ويرون أنّ الإمامة تكون في ذريّة الحسين. ويقولون بالتقيّة في حالة الخوف من السّلطة الظالمة. ر. EI_2 tomé 3. p 1195. article Imamat

والأساس، بعد النّظر في النّصوص، أنّ الشّيعة على اختلاف مواقفهم في شأن الوصيّ جيلا بعد جيل يجمعون على أنّ الإمامة يجب أن تكون وراثيّة في الهاشميّة وخاصّة منهم آل البيت سواء أكانوا ذرّية عليّ من فاطمة أم من غيرها.

هذه ثلاثة تيّارات تمخّضت عن اختلاف وجهات النّظر في شأن الإمامة وهي أمّ القضايا السّياسيّة، وقد تآلفت حينا وتناحرت أحيانا، وما يزال الصّراع قائما بينها كأنّ معركة صفّين قد انتهت بالأمس القريب.

ثمّ إن الشّهرستاني وإن لم يذكر موقفا رابعا أثناء هذا التّقسيم فإنّه عند تقسيم بعض الفرق داخليا يشير إلى أنّ هناك من وقف موقفا آخر رابعا وإن لم يبلغ من الأهميّة ما بلغته المواقف السّابقة لكنّه بما أنّه وجد فلا بد من أن يذكر وهذا الموقف هو موقف القائلين بأنّ الأمّة ليست بحاجة إلى إمام، وهي قادرة على أن تقوم بشؤونها بنفسها، وينسب هذا إلى النّجدات من المحكّمة وهم أصحاب نجدة ابن عامر (٦٨٨/٦٩)، يقول الشّهرستاني في ذلك : « وأجمعت النّجدات على أن لا حاجة للنّاس إلى إمام قطّ. وإنّما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن هم رأوا أنّ ذلك لا يتمّ إلاّ بإمامة عليهم فأقاموه جاز »[٢٨] .

كما ينسب ابن خلدون في المقدّمة عند حديثه عن وجوب الإمامة مثل هذا

---

٢٨ ن.م : ١٤٣/١.

- نجدة بن عامر الحروري الحنفي (٣٦-٦٩/٦٥٦-٦٨٨) : من بني حنيفة ابن بكر بن وائل. رأس الفرقة النجدية، ويعرف أصحابها بالنجدات. من كبار أصحاب الثورات في صدر الإسلام. أقام نحو خمس سنين وعماله بالبحرين واليمامة وعمان وهجر وبعض أرض العرض.
لم يتمكن عبد الله بن الزبير أن يقضي عليه. وقيل تمكن من قتله. له مقالات يوردها كتاب المقالات.
- الحروري نسبة إلى حروراء موضع على ميلين من الكوفة كان أوّل اجتماع الخوارج به، فنسبوا إليه. قال ابن تيمية : ممّا يدل على أن الصّحابة لم يكفّروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم، وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصّحابة يصلون خلف نجدة الحروري. ر.الأعلام: ٨/١٠.

الموقف إلى أحد المعتزلة يعرف بالأصمّ (٨٥١/٢٣٧) وهذا الموقف انتهى بانتهاء أصحابه[٢٩].

- ولا بأس من أن نذكر هنا جماعة الحياد وهم بعض الصّحابة الذين اجتنبوا هذه الفتنة من أصلها ولم يقفوا مع أيّ تيّار من هذه التيّارات المتصارعة، وهذا الموقف أيضا انتهى بانتهاء أصحابه. فيقول الشّهرستاني : « والذين اعتزلوا إلى جانب فلم يكونوا مع عليّ رضي اللّه عنه في حروبه ولا مع خصومه، وقالوا: « لا ندخل في غمار الفتنة بين الصّحابة رضي اللّه عنهم : عبد اللّه بن عمر (٦٩٣/٧٣)، وسعد بن أبي وقّاص (٦٧٥/٥٥)، ومحمّد بن مسلمة الأنصاري (٦٦٧/٤٦)، وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبي (٦٦٦/٤٥) مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم »[٣٠].

بعد هذا يتّضح أن النّزاع حول الإمامة وما يتعلق به من تولّد الافتراق يمكن أن يتخلّص فيما يلي :

١- **الإمامة وراثيّة في قريش** : وهو موقف الصّفاتيّة والمرجئة وبعض أهل العدل والتّوحيد.

٢- **الإمامة وراثيّة في آل البيت** : الشّيعة وجلّ أهل العدل والتّوحيد.

٣- **الإمامة شورى بين المسلمين** : المحكّمة.

٤- **لا إمامة** : النّجدات من الخوارج والأصمّ من أهل العدل والتّوحيد.

٥- **الحياد** : بعض الصّحابة.

---

٢٩ ابن خلدون : المقدّمة.
- أمّا الأصمّ فلم نعثر له على ترجمة.
٣٠ الملل : ١/١٦١.

ب) قضيّة تعيين الولاة

وإن بدت هذه القضيّة فرعيّة في العوامل السّياسيّة لكنّها كان لها بعض الشّأن في إثارة الفتنة.

فبقدر ما تحاشى أبو بكر وعمر تعيين قرابتهما في مناصب الدّولة النّاشئة، إلى حدّ أنّ عمر امتنع عن تعيين ابنه ضمن مجلس الشّورى، غلب عثمان على أمره - على أغلب الرّوايات - وقرّب قرابته من بني أميّة وفي ذلك يقول الشّهرستاني : « غير أن أقاربه من بني أميّة قد ركبوا نَهَابِرَ (جمع نَهْبُورَة وهي المهلكة) فركبته، وأخذوا عليه أحداثا كلّها محالة عن بني أميّة... وكلّهم خذلوه ورفضوه حتّى أتى قدره عليه، وقتل مظلوما في داره، وثارت الفتنة من الظّلم الذي جرى عليه، ولم تسكن بعد »[٣١] .

فالشّهرستاني واع بأنّ قضيّة تعيين القرابة في مناصب الدّولة كان لها ضلع في إثارة الفتنة التي انطلقت بما عرف بحادثة الدّار (٣٥/٦٥٦)، وبيّن أنّها لم تسكن بعد، إذ ما أن بويع الإمام عليّ حتّى اتّخذت المطالبة بدم عثمان منطلقا لجلّ ما حدث من شغب.

بقي هنا أن نذكّر بأنّ الشّهرستاني وإن لم يشر في الخلاف التّاسع إلى دور عبد اللّه بن سبأ[٣٢]* اليهودي الأصل في تأليب أهل الأمصار على عثمان كما تذكر ذلك جلّ المصادر ملحّة على أن هذا اليهودي أسلم من أجل الدّسّ، وكان المحرّك

٣١ ن.م : ١/٣٤-٣٥.

٣٢ عبد الله بن سبأ (ت نحو ٤٠/٦٦٠). رأس الطائفة السّبئية. وكانت تقول بألوهية علي. أصله من اليمن، قيل كان يهوديا وأظهر الإسلام. رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة ودخل دمشق في ايام عثمان بن عفان فاخرجه اهلها، فانصرف إلى مصر وجهر ببدعته. ر. الزركلي : الاعلام ٤/٢٢٠.

الأساسي للفتنة التي انتهت بمقتل عثمان. فإنّه ذكره في الخلاف العاشر على رأس الذين غالوا في شأن الإمام علي واعتبره نواة لما سمّاه بغلاة الشّيعة[٣٣](٢٦ مكرر).

والملاحظ في خاتمة المطاف عن العوامل السّياسيّة أنّها وإن كانت سببا في افتراق المسلمين بعد أن كانوا صفّا واحدا لا يمكن أن تفصل عن بقية العوامل لأنّها كلّها ترجع إلى منبع واحد، وإنّما جاء الفصل بينها منهجيّا حتّى تتّضح النتائج وإلاّ فلا فصل بين الرّوحي والزّمني في الإسلام.

٢ - العوامل الأصوليّة « العقديّة »

إنّ الشّهرستاني في المقدّمة الأولى يقسّم أهل العالم إلى أهل الدّيانات وأهل الأهواء فيقول : « وهم (أهل العالم) منقسمون بالقسمة الصّحيحة الأولى إلى أهل الدّيانات والملل وأهل الأهواء والنّحل.

فأرباب الدّيانات مطلقا مثل المجوس، واليهود، والنّصارى، والمسلمين.

وأهل الأهواء والآراء مثل الفلاسفة، والدّهريّة، والصّابئة، وعبدة الكواكب والأوثان، والبراهمة »[٣٤] .

ثمّ بيّن أنّ الإسلام خصّ بالفرقة النّاجية.

وقبل أن نغوص في مواقف الشّهرستاني نذكّر بما جاء في القرآن عن المحكم والمتشابه، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ

٣٣ الملل : ٣٢/١
٣٤ ن.م : ١٩/١.

الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٣ آل عمران ٧).

ومعلوم أن عمليّة إرجاع المتشابه إلى المحكم كانت مثار جدل كبير بين المسلمين.

كما أن الشّهرستاني يميّز بين الاختلاف في الأصول (أصول الدين) وبين الاختلاف في الفروع (الفقه)، فإن كان النّوع الثاني من الاختلاف ضرورة حياتيّة وفيه رحمة للعالمين، فإن النّوع الأوّل من الاختلاف كان مصدر شغب في الأمّة لأنّ الأصول لا يكون فيها الحقّ إلاّ من جانب واحد، وقد حرص الشّهرستاني على أن يستوفي عدد الفرق ثلاثا وسبعين فرقة كما ورد في الحديث: « ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، النّاجية منها واحدة، والباقون هلكى »، قيل: « ومن النّاجية؟ » قال: « أهل السّنّة والجماعة؟ » قيل: « وما السّنّة والجماعة؟ » قال: « ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[٣٥ مكرر].

وصاحب الملل يورد الحديث دون أن يثير حوله أي تساؤل، بل كان بالنّسبة إليه بمثابة التّنظير الذي عمل على جانب التّطبيق فيه، وقد مكّنته قدرته المنهجيّة من أن يقيم العلاقة بوضوح بين الفرق والأصول على رباعيتين أساسيتين، وعن رباعية الأصول انبثقت رباعية الفرق وما انشعب عنها من افتراقات داخلية حرص الشّهرستاني على التّعريف بشأنها وبأهمّ مبادئها بصفة مختصرة في كامل الكتاب

٣٥ مكرر ن.م: ١/ ٢٠

وفاء للمنهج الذي التزمه في خطبة الكتاب. ولا يغفل الشّهرستاني عن أن يعتبر ذلك الأصل محصورا في أربعة « فإن الفرد الأوّل ثلاثة والزّوج الأوّل أربعة، وهي النّهاية وما عداها مركّب عنها»[٣٦] .

والملاحظ أن الشّهرستاني يعتبر أن الاختلاف بين المسلمين ينقسم إلى قسمين أحدهما الاختلاف في الإمامة كما بيّنا ذلك « **والثّاني الاختلاف في الأصول** »[٣٧] .

وعندما يأتي إلى الاختلافات في الأصول يقول : «وأمّا الاختلافات في الأصول فحدثت في آخر أيّام الصّحابة بدعة معبد الجهني... (٦٩٩/٨٠) »[٣٨] .

وقد تعرّض الشّهرستاني لهذه الاختلافات بصفة مجملة ثمّ تحوّل إلى التّفصيل حسب مناهج ثلاثة متكاملة يوضّح بعضها البعض.

١- **المنهج الأوّل** : وخصّص له المقدّمة الثّانية وسمّاها: « **في تعيين قانون يبنى عليه تعديد الفرق الإسلاميّة** »[٣٩] .

٢- **المنهج الثّاني** : تتّبع فيه التّطور التّاريخي لعلم الكلام منذ نشأته ونشأة الفرق إلى عصره، مع ذكر أهمّ القضايا التي تولّدت عن بعضها البعض عبر الزّمن[٤٠] .

---

٣٦ ن.م : ١/٤٨.
٣٧ ن.م : ١/٣٦.
٣٨ ن.م : ١/٤٠.
– معبد بن عبد الله بن عويمر الجهني البصري (٦٩٩/٨٠). أوّل من قال بالقدر في البصرة. سمع الحديث من ابن عبّاس وعمران بن حصين وغيرهما. انتقل من البصرة إلى المدينة فنشر فيها مذهبه وعنه أخذ غيلان الدّمشقي. قيل قتله الحجّاج صبرا. وقيل صلبه عبد الملك بن مروان بدمشق على القول في القدر ثم قتله. ر. الزركلي:الأعلام ٧/٢٦٤.
٣٩ ن.م : ١/٤٠.
٤٠ ن.م : ١/٢٠-٢٢.

٣- المنهج الثّالث : وقد أقامه على ظاهرة المقابلات بين الفرق المتضادّة، وخاصّة منها الصّفاتية والمعتزلة، انطلاقا من القانون الذي أقرّه في المقدّمة الثّانية. فيقول : « الفريقان من المعتزلة والصّفاتية متقابلان تقابل التّضاد، وكذلك القدريّة والجبريّة، والمرجئة والوعيديّة، والشّيعة والخوارج، وهذا التّضاد بين كلّ فريق وفريق كان حاصلا في كلّ زمان، ولكلّ فرقة مقالة على حيالها، وكتب صنّفوها، ودولة عاونتهم، وصولة طاوعتهم »[٤١] .

واضح أنّ أُسُسَ هذه المناهج الثّلاثة تتظافر لتبيّن ما يوليه الشّهرستاني من قيمة للعامل الأصولي في نشأة الفرق، وها هو يصرّح بذلك في المقدّمة الثّانية التي ذكرنا عنوانها قبل حين : « إعلم أنّ لأصحاب المقالات طرقا في تعديد الفرق الإسلاميّة، لا على قانون مستند إلى أصل ونصّ، ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود. فما وجدتّ مصنّفين منهم متّفقين على منهاج واحد في تعديد الفرق...

وما وجدتّ لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضّابط، إلاّ أنّهم استرسلوا في إيراد مذاهب الأمّة كيف اتّفق، وعلى الوجه الذي وجد، لا على قانون مستقرّ، وأصل مستمرّ، فاجتهدّت على ما تيسّر من التّقدير، وتقدّر من التّيسير حتّى حصرتها في أربع قواعد، هي الأصول الكبار.

القاعدة الأولى : الصّفات والتّوحيد فيها... وفيها الخلاف بين الأشعريّة، والكرّاميّة، والمجسّمة، والمعتزلة.

القاعدة الثّانية : القدر والعدل فيه... وفيها الخلاف بين القدريّة والنّجّاريّة، والجبريّة، والأشعريّة والكرّاميّة.

٤١ ن.م : ١/٥٦.

القاعدة الثالثة : الوعد والوعيد والأسماء والأحكام... وفيها الخلاف بين المرجئة، والوعيديّة، والمعتزلة، والأشعريّة والكرّاميّة.

القاعدة الرابعة : السّمع والعقل، والرّسالة، والإمامة... والخلاف فيها بين الشّيعة، والخوارج والمعتزلة، والكرّاميّة والأشعريّة.

...فإذا تعيّنت المسائل التي هي قواعد الخلاف، تبيّنت أقسام الفرق الإسلاميّة، وانحصرت كبارها في أربع بعد أن تداخل بعضها في بعض: القدريّة، الصّفاتية، الخوارج، الشّيعة.

ثمّ يتركّب بعضها مع بعض، ويتشعّب عن كلّ فرقة أصناف، فتصل إلى ثلاثة وسبعين فرقة...

وترتيب هذا المختصر على الطريقة الأخيرة (وضع الرّجال وأصحاب المقالات أصولا، ثمّ إيراد مذاهبهم في مسألة مسألة) لأنّي وجدتها أضبط للأقسام وأليق بباب الحساب »[٤٢] .

وخلاصة القول عند الشّهرستاني إنّ القواعد الأصوليّة أربع و قد انبثقت منها أربع فرق كبار، ولكلّ منها نظريّة متكاملة تربط بين مفهومها للقواعد رباطا وثيقا، إذ مثلا لا يقبل لمن يعتبر أنّه لا تضرّ مع الإيمان معصية أن يرى خلود مرتكب الكبيرة في النّار، والعكس بالعكس، فمن يربط العمل بالإيمان يصعب أن يتنازل عن فكرة الخلود، والقضيّة التي أثارت البلاء بين الفرق تتمثّل في أن كلّ فرقة تحاول أن تحكم على الفرق الأخرى من خلال منظوماتها الخاصّة اعتمادا على ما تتبنّاه من

٤٢ ن.م : ١/ ٢٠-٢٢.

مفاهيم اصطلاحيّة، وهذا ما وقع فيه الشّهرستاني نفسه فيما سمّيناه المنهج الثاني والثالث خاصّة حيث اعتبر المدرسة الأشعريّة قاعدة تقاس عليها بقيّة الفرق رغم أنّه ذكر في المقدّمات أنّه سيترك الحكم للقارئ : « وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كلّ فرقة على ما وجدتّه في كتبهم، من غير تعصّب لهم، ولا كسر عليهم، دون أن أبيّن صحيحه من فاسده، وأعيّن حقّه من باطله، وإن كان لا يخفي على الأفهام الذكّية في مدارج الدّلائل العقليّة لمحات الحقّ ونفحات الباطل، وباللّه التّوفيق »[٤٣] .

ومثل هذه المواقف وما جاء قبلها في كتب الفرق والمقالات وجّهت الفكر الإسلامي توجيها معيّنا، زاد في التّنافر والتّناثر بين الفرق مع ما عرفه بعض منها من مدد من السّلطة الحاكمة، والشّهرستاني لم يغفل عن ذلك كما أوردنا من قبل: « ولكلّ فرقة... دولة عاونتهم، وصولة طاوعتهم »[٤٤] ونكتفي بالتّذكير بمحنة خلق القرآن الكريم بتياريها حيث نكّل المأمون (٨٣٣/٢١٨) بكلّ من يقول بالقِدم، ثمّ ردّ المتوكّل (٨٦١/٢٤٧) الثّأر فكال الصّاع صاعين لكل من يقول بالخلق.

وبهذا نتبيّن أنّ القواعد الأصولية التي كانت سببا لانبثاق كبار الفرق، وما انبثق عنها تشمل **الإلاهيات** (الصّفات والتّوحيد فيها)، **والإنسانيات** (القدر والعدل، والوعد والوعيد والأسماء والأحكام)، **والرّساليات** (السّمع والعقل والرّسالة)، وتلك هي أهمّ مواضيع علم الكلام وأصول الدّين التي تكوّنت حولها المقالات التي كان الخلاف فيها منطلقا لانبعاث الفرق الإسلاميّة.

واضح من خلال هذا العرض ما يوليه الشّهرستاني من أهميّة للعامل

٤٣ ن.م : ٢٢/١.
٤٤ ن.م : ٥٦/١.

الأصولي إلى جانب العامل السياسيّ لنشأة الفرق الإسلاميّة، فأحدهما بمثابة اللُّحْمَةِ والآخر بمثابة السَّدى، فماذا عن بقيّة العوامل ؟

٣ - العوامل الثّقافيّة

يمكن أن تستفاد هذه العوامل من كتاب الملل خاصّة من المقدّمة الثّالثة : **« في بيان أوّل شبهة وقعت في الخلقية، ومن مصدرها في الأوّل، ومن مظهرها في الآخر »**[٤٥] .

ومن موقف الشّهرستاني من الذين يستبدّون بالرّأي ويخالفون النّص.

يقول : « إعلم أن أوّل شبهة وقعت في الخليقة : شبهة إبليس لعنه اللّه، مصدرها استبداده بالرّأي في مقابلة النّص...» وانشعبت من هذه الشّبهة سبع شبهات، وسارت في الخليقة، وسرت في أذهان النّاس حتّى صارت مذاهب بدعة وضلالة، وتلك الشّبه مسطورة في شرح الأناجيل... ومذكورة في التّوراة متفرّقة على شكل مناظرات بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسّجود والامتناع منه »[٤٦] . «... وكذلك لو تعقّبنا أحوال المتقدّمين منهم ووجدناها مطابقة لأقوال المتأخّرين[٤٧ مكرر]». ثمّ بيّن كيف استقت الفرق الإسلاميّة من الأمم السّابقة بعض آرائها انطلاقا من شبه إبليس اللّعين ومن ذلك يقول : « وشبّه النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم كلّ فرقة ضالّة من هذه الأمّة بأمّة ضالّة من هذه الأمم السّالفة فقال: « القدريّة مجوس هذه الأمّة ». وقال : « المشبّهة يهود هذه الأمّة والرّافضة نصارها ». وقال عليه الصّلاة

---

٤٥ ن.م : ٢٨/٢٣/١.
٤٦ ن.م : ٢٣/١.
٤٧ مكرر ن.م : ٢٦/١.

والسّلام جملة : « لتسلُكنّ سبل الأمم قبلكم حذو القُذّة بالقُذّة (بضمّ القاف: ريش السّهم)، والنّعل بالنّعل، حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه»[٤٨]. ويقول أيضا : «ثمّ طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسّرت أيّام المأمون، فخلطت، مناهجها بمناهج علم الكلام، وأفردتها فنّا من فنون العلم، وسمّتها باسم الكلام، إمّا لأنّ أظهر مسألة تكلّموا فيها وتقاتلوا عليها هي مسألة الكلام، فسمّي النّوع باسمها، وإمّا لمقابلاتهم الفلاسفة في تسميتهم فنّا من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان»[٤٩] .

ثمّ يحلل مؤثّرات الفكر الفلسفي خاصّة في الفكر الاعتزالي على مختلف مراحله - ص ٣٤-٤١ إلى أن يقول: « وأمّا رونق علم الكلام فابتداؤه من الخلفاء العباسيّة هارون (٨٠٩/١٩٣)، والمأمون(٨٣٣/٢١٨)، والمعتصم (٨٤١/٢٢٧)، والواثق (٨٤٧/٢٣٢)، والمتوكّل (٨٦١/٢٤٧)، وانتهاؤه من الصّاحب بن عبّاد (٩٩٦/٣٨٥) وجماعة من الدّيالمة »[٥٠] .

دون أن نغفل عن تأثير الفكر الفارسي، والفكر الهندي، مع العلم أن كثيرا

٤٨ ن.م : ١/٢٧-٢٨.
« القدريّة مجوس هذه الأمّة ». ورد هذا الحديث في الربيع بن حبيب : الجامع الصحيح ٣/١٠ عدد ٧٩٨. بنصّ:» القدريّة مجوس هذه الإمّة إن مرضوا فلا تعودهم، وإن ماتوا فلا تصلوا عليهم «. رواه أبو داود في سننه عن حذيفة ولفظه :» لكل أمّة مجوس، ومجوس هذه الأمّة الذين يقولون لا قدر إلخ... ومثل حديث المسند في سنن أبي داود عن أبي عمر مع لفظ وإن مرضوا فلا تشهدوهم، وذلك من باب القدر من السنن. وانكر ابن حزم صحّة هذا الحديث لطريق الإسناد لأن في سنده عن أبي داود جعفر بن الحارث وهو مطعون فيه.واورده ابن الجوزي في الموضوعات.(عن المقدّمة التبصير في الدين وهي لزاهد الكوثري:٤-٥) اخذ عن تعليق عدد٩ : عمار الطالبي: الموجز ٢/٦٢.
- وجاء عند ابن ماجة بمقدّمة : ١٠، ٢٥ بنصّ « إن مجوس هذه الأمّة المكذّبون بأقدار الله «. كما جاء بنصّ « ومجوس هذه الأمّة، أمّتي=
= الذين يقولون لا قدر « عند الدّارمي : سنة ١٦. عند ابن حنبل : ٢، ١٥، ٥، ٤٠٧. وجاء الحديث حسب المعجم المفهرس بنصّ « إن مجوس هذه الأمّة المكذّبون بأقدار الله» عند ابن ماجة : مقدّمة ١٠، ٢٥. وجاء بنصّ « ومجوس هذه الأمّة، أمّتي الذين يقولون لا قدر» عند الدّارمي : سنة ١٦. ابن حنبل : ٢، ١٥، ٥، ٤٠٧.
- « المشبّهة » : لم يرد في المعجم المفهرس.
- حديث « لتسلكن » جاء عند ابن حنبل : ٤، ١٢٥. والضّبّ : حيوان من الزّحافات.
٤٩ ن.م : ١/٤١.
٥٠ ن.م : ١/٤٣.

من علماء الكلام يرجعون إلى هذه الأوساط، والشّهرستاني نفسه من بينهم.

والمتأمّل في مقالات الفرق الإسلاميّة في الإلاهيّات والإنسانيّات والرّساليّات يلمس بوضوح تفاعلها مع هذه الثّقافات الدّخيلة إزاء التّعايش مع أصلي الشّريعة، القرآن الكريم والسّنّة الشّريفة، والواقع الإسلامي، وتتمثّل هذه الثّقافات في ما يلي :

أ) اللاّهوت اليهودي والمسيحي :

وهذا ليس بغريب لأنّ القرآن والسّنّة مفعمان بالإشارة إلى هاتين الرّسالتين السّابقتين دون الغفلة عن بقية الرّسالات والنّبوات السّابقة، وقد كان لها هي الأخرى أثرها في علم الكلام، ومن أمثلة ذلك اليهود وقضيّة التّجسيم، والنّصارى وقضيّة التّأليه، وقصّة آدم وإبليس وإلحاح الشّهرستاني على أنّ جميع بذور الافتراق واردة فيها لأنّ منطلقها استبداده بالرّأي ومعارضته للنصّ، ولا يجوز أن تعدو شبهات فرق الزّيغ والكفر والضّلال هذه الشّبهات (شبهات إبليس السّبع) وإن اختلفت العبارات، وتباينت الطّرق، فإنّها بالنّسبة إلى أنواع الضّلالات كالبذور، وترجع جملتها إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف بالحقّ، وإلى الجنوح إلى الهوى في مقابلة النّص »[٥١] .

ب) الفلسفة اليونانيّة :

وهذه الفلسفة لها مفهومها الكامل للكون والخلق مع اعتماد كلّي على العقل وكفر بالوحي، (لم تذكر هذه الفلسفة مسألة النّبوّة) ويتجلّى هذا في تقديم المعتزلة للعقل على النّقل واعتباره حجّة اللّه على الخلق وما نتج عن ذلك من ردود الفرق الأخرى بأن حجّة اللّه على النّاس الرّسل.

٥١ ن.م : ٢٥/١.

جـ) الفكر الفارسي الغنوصيّ :

وهو يعتمد اعتمادا كبيرا على الباطن على حساب الظّاهر، مع القول بالرّجعة والمهدي المنتظر وما إلى ذلك، ويتجلّى هذا في مواقف الشّيعة الخاصّة من الإمامة وما نتج عنها من ردود فعل لدى الفرق الأخرى.

د) الفكر الهندي :

وقد اشتهر بالزّهد والتّصوّف والقول بالتّناسخ، ونلمس هذا التّأثير لدى الصّفاتية وجنوحهم إلى التّصوّف إلى حدّ المغالاة فيه، ولدى الشّيعة ومدى استغلالهم لقضيّة التّناسخ والتّوسع فيها، وما نتج عن ذلك من ردود فعل.

واضح إذن أن للعوامل الثّقافية دورا فعّالا في الاختلاف في وجهات النّظر في فهم المتشابه وإرجاعه إلى المحكم من كتاب اللّه العزيز، فمن واقف عند النّصوص، ومن مُكْتف بالظّاهر، ومن داع إلى إعمال العقل بالتّأويل دون الخروج عن قواعد الشّرع وعن قواعد اللّغة، ومن معتبر من المواقف التي انبثقت منها نظم فكريّة متكاملة تبنّتها فرق تآلفت فيما بينها حينا، وتناظرت أخرى، وتقاتلت في أغلب الأحوال، وكلّ تعتبر أنّها الفرقة النّاجية وأن الفرق الأخرى هلكى.

٤ - العوامل الاجتماعيّة

لم يول الشّهرستاني هذا العامل نفس الأهميّة التي أولاها للعوامل السّابقة وإنّما أورده عرضا، ويمكن أن يستنتج ضمنيا خاصّة من المقدّمة الرّابعة حيث بيّن المراحل التي تدرجت بالأمّة نحو الاختلاف، من زمن الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم إلى ما عرف بالفتنة الكبرى، وحصر الشّهرستاني هذه المراحل في عشر : ومن أراد

التوسّع في القضيّة فليطالع الكتب التي ألّفت في : الخلافة والملك وقد حلّلت القضيّة غالبا من وجهة سياسيّة، وكتاب إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والثّقافي والدّيني والاجتماعي الجزء الأوّل. وقد حلّل القضيّة تحليلا تاريخيا.

والملاحظ بجلاء أن تركيبة المجتمع الإسلامي قد تعقّدت شيئا فشيئا، فبعد أن كان العرب منعزلين عن بقية النّاس وحّد الإسلام بين كلّ من اعتنقه قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٤٩الحجرات ١٣).

ولقد بيّن الرّسول عليه السّلام ما وراء العصبيّة من شرّ على المجتمع فقال: « دعوها إنها منتنة »[٥٢] . وفعلا تآلف المسلمون في ظل الرّسالة لا فرق بين عربي وعجميّ إلاّ بالتّقوى، وكذا كان الأمر زمن أبي بكر وعمر وستّ سنوات من خلافة عثمان، إلاّ أن اتساع الفتوحات وتفرّق الصّحابة واختلاط الأجناس ممّن كانوا حديثي عهد بالإسلام، ومن المندسّين في المجتمع الإسلامي ليفسدوا على المسلمين أمرهم عندما عجزوا عن التصدّي لفتوحاتهم أدّى إلى تصدّع بناء هذا المجتمع.

ولقد ألحّ الشّهرستاني في الخلاف التّاسع على ما كان من تأثير في افتراق المسلمين نتيجة ما حدث من تقوية للعصبيّة الأمويّة في المرحلة الأخيرة من خلافة عثمان فقال : « وانتظم الأمر واستمرت الدّعوة في زمانه... غير أنّ أقاربه من بني أميّة قد ركبوا نَهَابِرَ (جمع نَهْبُورَة وهي المهلكة) فركبته، وجاروا فجير عليه، ووقعت في زمانه اختلافات كثيرة وأخذوا عليه أحداثا كلّها محالة على بني أميّة »[٥٣] .

٥٢ « دعوها إنّها منتنة » : لم يرد في المعجم المفهرس.
٥٣ انظر ما سبق وما يلي. ملل : ١/ ٣٤.

والمتأمّل في الخلاف العاشر، وهو يلخّص انطلاق الفتنة الكبرى وتأجّجها، يتبيّن أن لتداخل الأجناس دورا فعّالا في اشتعال تلكم الأحداث، فالصّراع كان واضحا بين عرب الشّام وعرب العراق ومن انضمّ إلى الطّرفين من الموالي :

فالعلويّة عربية هاشميّة ثمّ آزرها الموالي من الفرس.

والأمويّة (المرجئة) : عصبيّة عربيّة أمويّة، وما أن رجحت كفّتهم بالمكر والدّهاء حتّى اضطهدوا بقيّة الأجناس في خراسان وإفريقيّة.

انفصال المحكّمة وجلّهم من عرب تميم، وسرعان ما انضمّ إليهم عديد من الموالي بالبصرة.

وبهذا نتبيّن أن صراع العصبيات كان مغذّيا للافتراق، وانقسم المجتمع إلى ثلاث تيّارات كبرى :

تيّار أمويّ تغذّيه العصبيّة العربيّة، دان بالإرجاء والجبريّة، وهم نواة الصّفاتيّة أو ما عرف بأهل السّنّة ثمّ الأشعريّة والماتريديّة.

تيّار علوي أرومته عربيّة من آل البيت، وجد في العنصر الفارسي أحسن مناصر، مع إدخال الفكر الباطني المتأصّل عند العجم، الأمر الذي أدّى إلى ما ينسب إلى عديد من الفرق من الغلوّ في شأن الإمام عليّ، وانصهر معهم تيّار أهل العدل والتّوحيد عربا وموالي.

تيّار المحكّمة منطلقه ألاّ فرق في الإمامة بين عربي وعجميّ إذا استويا في التّقوى والصّلاح، عصبية عربية انضمت إليها العناصر المضطهدة، وبرز نجم

هذا التيّار خاصّة في المغرب مع البربر الذين أذاقهم ولاة بني أميّة من العذاب أصنافا.

- أمّا عن الصّراع بين الخاصّة والعامّة (الطّبقات) فقد استطاع البلاط الأمويّ أن يغلّب التيّار العربي وما انبثق عنه من فرق.

كما أنّ العناصر الأخرى قد بذلت كلّ جهدها للإطاحة بالدّولة الأمويّة ومن ساندها، وقد كانت ضربات العلويين والمحكّمة من أكبر العوامل لإنهاء الحكم الأمويّ ليخلفه التيّار الهاشميّ العباسيّ، ونحن نعلم أنّه قام على العصبيّة الفارسيّة مع أبي مسلم الخراساني (١٣٧/٧٥٥).

والملاحظ كما أشرنا آنفا أن للتّركيبة الاجتماعية المتداخلة دورا فعّالا في إذكاء روح الافتراق إلاّ أنّ الشّهرستاني لم يول هذا العامل من الأهميّة ما يستحقّ، والحقيقة أن هذا دور المؤرّخ خاصّة، واستقصاء الأخبار في كتب التّاريخ يمكّن من زيادة التّوسع في التّعرّف على هذا العامل.

٥ - العوامل الماليّة

لم تكن عقليّة أهل القرن السادس هجري/١٢م تضع هذه العوامل في المقدّمة كما تعتبرها بعض المدارس المادّيّة الحديثة والمعاصرة، لكن مع ذلك لا يخلو كتاب الملل والنّحل من بعض الإشارات التي تبيّن ما لوفرة الأموال من تأثير في التّحوّل الفكري للأمّة.

يذكر الشّهرستاني في المقدّمة الرّابعة، الخلاف السّادس: في أمر فدك[٥٤]

٥٤ فدك: « قرية في الحجاز بينها وبين المدينة يومان كانت لليهود، أفاءها الله على رسول الله صلّى الله عليه

والتّوارث عن النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، ودعوى فاطمة (١١/٧٣٢) عليها السّلام وراثة تارة، وتمليكا أخرى حتّى دفعت عن ذلك بالرّواية المشهورة عن النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة »[٥٥] .

كان يمكن أن تكون هذه القضيّة المالية مثارا للنّزاع ومنطلقا للافتراق لولا أن النّص كان قطيعا، إذ دفع فاطمة إلى الامتثال، وفصل الأمر.

ثمّ يذكر الشّهرستاني أنّ الأموال كانت سببا لإثارة **الخلاف السّابع ضمن** الشّبه التّي وقعت في الملّة الإسلاميّة : « في قتال مَانعي الزّكاة، فقال القوم : لا نقاتلهم قتال الكفرة. وقال قوم بل نقاتلهم حتّى قال أبو بكر رضي اللّه عنه : لو منعوني عقالا ممّا أعطوا الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم لقاتلتهم عليه، ومضى بنفسه إلى قتالهم، ووافقته بعد ذلك الصّحابة بأسرهم[٥٦مكرر]».

وإنّنا نعلم ما أحدثته حروب الردّة من تصدّع في المجتمع الإسلامي النّاشئ لولا موقف أبي بكر الحازم الذّي ضرب المرتدّين بدون هوادة، ونصيب منهم كانت ردّتهم من أجل قضيّة ماليّة هي ركن من أركان الإسلام، وقد استطاع عمر أن ينقص من تلك الحدّة في مطلع خلافته « بردّ السّبايا والأموال إلى أصحابها، وإطلاق المحبوسين[٥٧] »، وبذلك انتهى أثر ذلكم التصدّع الكبير الأوّل، ولم يترك أثرا في افتراق المسلمين.

وسلّم في سنة ٢٣٩/٧ صلحا فكان ينفق منها على نفسه وعلى بعض المحتاجين من بني هاشم ». ياقوت الحموي معجم البلدان دار صادر. ٢٣٨/٤.

٥٥ الملل. ٣٢/١-٣٣.

– حديث « نحن معاشر الأنبياء » : البخاري : اعتصام٥، خمس١، نفقات٣، فضائل الصحابة١٢، فرائض٣. مسلم : جهاد٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٦. النّسائي : فيء. الدارمي : كلام ٢٧. أحمد بن حنبل : ١، ٦.

٥٦مكرر الملل : ٣٣/١

٥٧ ن.م : ٣٣/١.

ولم يغفل الشّهرستاني في الخلاف الثّامن عن ملاحظة تدفّق الأموال على المسلمين ممّا عرفوه من فتوحات زمن عمر ابن الخطاب : « وفتح اللّه على المسلمين، وكثرت السّبابا والغنائم»[٥٨] ، وكتب التّاريخ تذكر موقف عمر ممّا تجمّع من هذه الأموال حيث بكى معتبرا مستحضرا كيف أن الرّسول عليه السّلام كان يخشى على هذه الأمّة من أن تفتن بكثرة الأموال فتنسى ذكر اللّه تعالى، وفعلا استطاع عمر أن يمتلك زمام الأمور بما أوتي من هيبة : « وكانوا كلّهم يصدرون عن رأي عمر رضي اللّه عنه، وانتشرت الدّعوة، وظهرت الكلمة، ودانت العرب، ولانت العجم »[٥٩] .

ثمّ إنّ الوضع تحوّل بعد خلافته بسنوات قلائل.

وهذا ما ضبطه صاحب الملل في الخلاف التّاسع حيث ألحّ على ما كان لكثرة الأموال من فتنة إزاء ما ذكرناه من قبل من تغليب العصبيّة الأمويّة على غيرها فها هو يقول: « وكثرت الفتوح، وامتلأ بيت المال، وعاشر عثمان الخلق على أحسن خلق، وعاملهم بأبسط يد، غير أنّ أقاربه من بني أميّة قد ركبوا نهابر فركبته، وجاروا فجير عليه، ووقعت في زمانه اختلافات كثيرة، وأخذوا عليه أحداثا كلّها محالة على بني أميّة... منها تسليمه خمس غنائم إفريقية له (مروان بن الحكم بعد أنّ زوجه ابنته) وقد بلغت مائتي ألف دينار »[٦٠] .

والمتأمّل في كتب التّاريخ إزاء ما ذكره الشّهرستاني يتبيّن أنّ من أهمّ المآخذ التي كانت سببا في حادثة الدّار ومقتل عثمان ما لوحظ على عمّال عثمان من حيف في شأن ما تجمّع لديهم من أموال.

---

٥٨ ن.م : ١/٣٤.
٥٩ ن.م : ١/٣٤.
٦٠ ن.م : ١/٣٤ تكرار النّص فرضته المنهجيّة.

وإن اكتفى الشّهرستاني بمجرّد الملاحظة للعامل المالي فإنّنا يمكن أن نستنتج أنّ توفّر مثل هذه المقادير الطائلة من الأموال ورّث ثراء فاحشا لدى طائفة من النّاس على حساب جماعة أخرى، وهذا قد عمل على إذكاء روح الافتراق - مع انصهاره مع العوامل الأخرى السياسيّة والأصوليّة والثّقافيّة والاجتماعيّة - مع العلم أنّ المجموعات التي لم تنل نصيبها من هذه الأموال بل غنمت أموالها في كثير من الأحوال انتظمت تحت لواء من دعاها إلى ردّ المظالم -على أساس عقدي- وهذا ما حدث في ما عرف بحادثة الدّار، وما حدث بصفة عمليّة جليّة بالنّسبة إلى مؤازرة العنصر الفارسي للعلويّين والعبّاسيين، وإلى مؤازرة البربر للمحكّمة صفريّة وإباضيّة ضدّ الأمويين ثمّ العبّاسيّين.

وخلاصة القول إنّه يستحيل الفصل بين هذه العوامل في الواقع لأنّها لا تكون إلا متداخلة متشابكة، لكنّنا حاولنا أن نفصل بينها في هذا البحث فصلا منهجيّا، وقد يسّر لنا هذا الفصل وضوح الرؤية انطلاقا من كتاب الملل، وقد اتّضح بصفة جليّة أن الشّهرستاني قد أولى اهتماما أساسيّا للعامل السياسيّ والعامل الأصوليّ لكنّه مع ذلك لم يغفل عن العوامل الثّقافية والاجتماعيّة والماليّة. وبهذا يعتبر كتاب الملل والنّحل وثيقة مهمة للتّأريخ لنشأة الفرق الإسلاميّة وتحديد عواملها.

فماذا عن تسمية هذه الفرق وألقابها ؟

المبحث الثّاني

قضيّة تسميّات الفرق وألقابها

تمهيـــد

إذا قلنا قضيّة معنى ذلك أن هناك خصومة، فهل هي تسميات أم ألقاب ؟ وهل يمكن أن نضع حدودا فاصلة بين هذين الطّرفين المتناقضين ؟

أمّا عن علاقة التّسمية بالنشأة، فإنّ الواقع يثبت أنّ النّشأة متقدّمة على التّسمية ذلك أنّ أئمّة الفرق لا يمكن أن يتّضح تنظيرهم إلاّ بعد أن تبرز الفرقة للوجود بعامل من العوامل أو بالعوامل متشابكة.

واعتمادا على القواعد الأصوليّة الأربع يعتبر الشّهرستاني أنّ كبار الفرق أربع : **القدريّة، الصّفاتيّة، الخوارج والشّيعة**. فنفهم من هذا النّص أنّها تسميات، لكن المؤلّف لم يغفل عن ذكر **الألقاب** فمن ذلك يقول عن المعتزلة: «ويسمّون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبّون بالقدريّة »[٦١] . معنى ذلك أنّنا لا نفتعل هذه القضيّة وإنّما هي واردة عند الشّهرستاني وإن لم تكن في منتهى الوضوح. كما نذكّر بأنّ الأمّة الإسلاميّة قد افترقت بعد معركة صفّين سنة (٦٥٧/٣٧) إلى ثلاثة اتّجهات: جماعة مع عليّ بن أبي طالب. وجماعة مع معاوية. وجماعة لا مع هذا ولا مع ذاك عرفت بلا حكم إلاّ اللّه وتقديمها عبد اللّه بن وهب الرّاسبي[٦٢*] للإمامة. فما الذّي

---

٦١ ن.م : ٥٦/١.

٦٢* عبد الله بن وهب الرّاسبي (٩ صفر ١٧/٣٨ جوان ٦٥٨): هو عبد الله بن وهب بن راسب بن يدعان بن مالك بن نصر من الازد. وهي قبيلة نزلت البصرة. ادرك النبي صلى الله عليه وسلم، وشارك في فتوح العراق بقيادة سعد بن ابي وقاص (٦٧٤/٥٥). كان من انصار علي في حروبه، ثم انكر التحكيم. بايعته المحكمة عندما ثبتت خدعة الحكمين في (٢٠ شعبان ٣١/٣٧ جانفي ٦٥٨). فطلب منهم علي الرّجوع للمناصرة إلا انهم استتابوه وطلبوا منه الدّخول في ما دخل فيه المسلمون.

– وجاء في رسالة المحكمة إلى علي بن ابي طالب : «... إن كنت صادقا فادخل في ما دخل فيه المسلمون من طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة إمام المسلمين عبد الله بن وهب الرّاسبي، فقد بايعناه بعد خلعنا إياك لاستحقاقك منّا ان نخلعك ولا وسع إلا ذلك والسّلام». سرحان الازكوي : كشف الغمة، ورقة ٢٨١.

– وقتله في معركة النهروان هاني بن خطاب الارحبي وزياد بن حفصة في ٩ صفر ١٧/٣٨ جوان ٦٥٨. ويعتبره الإباضية من ائمتهم. ر. الدرجيني: الطبقات ٢/ ٢١٠. الشماخي : السير: ٥. ر. عمار الطالبي: آراء الخوارج الكلامية ١/ ٨٨–٩٨. وقد توسّع في ترجمته. ويقول الزركلي : « من ائمّة الإباضية، كان ذا علم وراي وفصاحة وشجاعة وكان عجبا في العبارة. ادرك النبي صلى الله عليه وسلم. الأعلام : ٤/ ٢٨٨.

حوّل الأمر إلى التّسميات التي تبنّاها الشّهرستاني ؟

١- أنصار معاوية : إن كان الخروج سياسيّا فإنّ جماعة معاوية هم ثاني من ينبغي أن يطلق عليهم اسم الخوارج بعد طلحة (٦٥٦/٣٦)، والزّبير (٦٥٦/٣٦) في معركة الجمل (٦٥٧/٣٦)، لكنّ الأمويين وبيدهم السّلطة اختاروا لأنفسهم التّسميات التي تتماشى ومبدأ الحكم الوراثي، فانبثقت تسميات الإرجاء والجبر:

أمّا الإرجاء فقد بيّن الشّهرستاني أنّه يرجع إلى معنيين: أوّلهما تأخير العمل على النيّة، وثانيهما الإقرار بأنّه لا تضرّ مع الإيمان معصيّة كما لا تنفع مع الكفر طاعة حيث يقول: « الإرجاء على معنيين: أحدهما بمعنى التّأخير كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ ﴾(٧ الأعراف ١١١)، والثّاني: إعطاء الرّجاء. أمّا إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأوّل فصحيح. لأنّهم كانوا يؤخّرون العمل على النّية والعقد. وأمّا بالمعنى الثّاني فظاهر، فإنّهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة »[٦٣] .

ثمّ يذكر الشّهرستاني أبرز من دانوا بالإرجاء من فقهاء الأمّة فيقول : «تتمة رجال المرجئة كما نقل : الحسن بن محمد ابن علي بن أبي طالب (٧١٨/١٠٠)، سعيد بن جبير الأسدي (٧١٤/٩٥)، وطلق بن حبيب (مات بين ٩٠ و١٠٠ /٧٠٨-٧١٨)، وعمرو بن مرة (٧٣٧/١١٨) ومحارب بن زياد (٧٣٤/١١٦)، ومقاتل بن سليمان (٧٦٧/١٥٠) وذر بن عبد اللّه الهمذاني (٧٠٠/٨٠)، وعمرو بن ذر (٨٠٤/١٨٩)، وحماد بن أبي سليمان (٧٣٨/١٢٠)، وأبو حنيفة (٧٦٨/١٥٠) وأبو يوسف (٧٣٨/١٨٢)، ومحمد بن الحسن (٨٠٤/١٨٩)، وقديد بن جعفر. وهؤلاء

٦٣ ن.م: ١/١٦١-١٦٢.

كلّهم أئمّة الحديث، لم يكفّروا أصحاب الكبائر بالكبيرة ولم يحكموا بتخليدهم في النّار خلافا للخوارج والقدرية »[٦٤] .

وأمّا الجبريّة : فيتعرّض لهم الشّهرستاني أثناء الحديث عن القدريّة ليقيم تقابلا بين الطّرفين. « على أنّ الجبريّة والقدريّة متقابلتان تقابل التّضادّ»[٦٥]، كما يعرّف الجبر بما يلي: «هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الربّ تعالى»[٦٦]. وقد عرف معاوية وجماعته بالجبريّة لقولهم بأنّ الإنسان لا اختيار له. ونلاحظ حينئذ أنّ في القول بالإرجاء والجبر تبريرا لكيان الدّولة الأمويّة. كلّ هذا لا يضعه الشّهرستاني في إطاره التّاريخي بصورة واضحة وإنّما يكتفي بذكر الصّفاتيّة ، ويعود إليها عدّة مرّات ليتدرّج بها إلى أنّهم السّلف ثمّ أهل السّنّة ثمّ الأشاعرة. وفي ذلك يقول : « وكان بين المعتزلة وبين السّلف في كلّ زمان اختلافات في الصّفات، وكان السّلف يناظرونهم عليها لا على قانون كلامي، بل على قول إقناعي ويسمّون الصّفاتيّة »[٦٧]. ثمّ يقول عن الأشعري (٩٤٢/٣٣٠) الذي كان معتزليّا « وجرت مناظرة بين أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وبين أستاذه أبي علي الجبّائي (٩١٦/٣٠٣) في بعض مسائل التّحسين والتّقبيح، فألزم الأشعري أستاذه أمورا لم

٦٤ ن.م : ١٦٨/١٦٩.

– الإرجاء : يسمى القائلون بالإرجاء المرجئة، من الفرق الإسلامية المتقدّمة في الزّمن، ويذكر ونسينك مختلف اقوال كتاب المقالات في شان الإرجاء. ومن اسس المرجئة انّه لا يضرّ مع الإيمان معصية وانّ طاعة الإمام الجائر واجبة فلا ثورة ولا خروج، ويرجون النجاة لكل المؤمنين يوم القيامة وإن ماتوا على المعصية ولذلك سُمّوا باهل الوعد على عكس المعتزلة الذين سمّوا باهل الوعيد. ر. محمد الطالبي: الارجاء، دراسات في تاريخ افريقية. منشورات الجامعة التونسية المطبعة الرسمية تونس ١٩٨٢. ٣٥٩– ر.١٨٤
cf. EI1 tome3.784

٦٥ ن.م : ١/٥٦.

– الجبريّة : الجبريّة أو المجبرة تسمية أطلقت على إحدى الفرق الإسلاميّة من قبل خصومهم على أساس أنّهم يقولون بأن حركة الإنسان كحركة الشمس لا دخل للإنسان فيها، فهو مجبر. وهي الفرقة المقابلة للقدريّة او المعتزلة التي تقول بحريّة الإنسان. ر. EI2 tome2. P 375

٦٦ ن.م : ١/٩٧.

٦٧ ن.م : ١/٤٤.

يخرج عنها بجواب فأعرض عنه وانحاز إلى طائفة السّلف ونصر مذهبهم على قاعدة كلاميّة، فصار ذلك مذهبا منفردا»[٦٨] . كما يقول : « ولمّا كانت المعتزلة ينفون الصّفات والسّلف يثبتون، سمي السّلف صفاتية والمعتزلة معطّلة »[٦٩] . ثمّ يقول : « أمّا السّلف الذين لم يتعرّضوا للتّأويل، ولا تهدّفوا لتشبيه فمنهم مالك بن أنس رضي اللّه عنه (٧٩٥/١٧٩)، إذ قال : الاستواء معلوم، والكيفيّة مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ومثل أحمد بن حنبل رحمه اللّه. وسفيان الثّوري. وداود بن علي الأصبهاني ومن تبعهم »[٧٠] . ثمّ يختم حديثه عن الصّفاتية عامّة قبل أن يتحوّل إلى التّفصيل بما يلي: « ... وانحاز الأشعري إلى هذه الطائفة (السلف) فأيّد مقالتهم بمناهج كلاميّة، وصار مذهبا لأهل السّنّة والجماعة، وانتقلت سمة الصّفاتيّة إلى الأشعريّة »[٧١] .

فواضح إذن أن الشّهرستاني تدرّج تدرّجا مرنا عبر كتاب الملل في تسمية هذه الفرقة ليصل بها إلى أحسن الأسماء « أهل السنّة والجماعة » وذلك ليربط هذه الفرقة التي ينتمي إليها بحديث الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم والذي ذكر أنّها الفرقة النّاجية.

وينبغي أن نلاحظ أن الشّهرستاني غفل أو تغافل عن الإشارة إلى أمرين

---

٦٨ ن.م : ٤٤/١.

- أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٩٤٢/٣٣٠) : من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري. مؤسّس مذهب الاشاعرة. كان من الأئمّة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم، ثمّ رجع وجهر بخلافهم توفي ببغداد. من اهمّ مؤلفاته : «مقالات الإسلاميين» ط جران. « الإبانة عن اصول الدّيانة » ط. اللمع في الرّد على اهل الزيغ والبدع. ط.ر.الزّركلي:الاعلام ٢٦٣/٤.
- محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي (ابو علي) (٩١٦-٨٤٩/٣٠٣-٢٣٥): من أئمّة المعتزلة. ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبت الطائفة «الجبّائيّة» له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. نسبته إلى جبّى من قرى البصرة. اشتهر في البصرة، ودفن بجبّى. له «تفسير» حافل مطول، ردّ عليه الاشعري. ر. الزّركلي : الاعلام ٢٥٦/٦.

٦٩ ن.م : ١٠٤/١.
٧٠ ن.م : ١٠٥/١.
٧١ ن.م : ١٠٦/١.

ذكرا عن الأطراف المقابلة يحدّدان معنى « السّنّة » في هذه التسمية :

فالعلويون لا يعتبرونها سنّة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، ولكن يعتبرونها السّنّة التي أقامها معاوية وهي متمثّلة في لَعْنِ الإمام علي في خطب الجمعة، ولم تبطل هذه العادة إلا مع عمر بن عبد العزيز (١٠١/٧٦٠)، وبهذا انقلب الأمر من التمدّح إلى الذمّ.

أمّا « الجماعة » فهي أيضا تتحوّل إلى شيء من الذمّ ذلك أنّها تذكر باضطرار الإمام الحسن بن علي[٧٢] إلى التّخلّي لمعاوية سنة (٤٠/٦٦١) فسمّي العام عام الجماعة، والعلويّون يعتبرون أحقّيّة الإمام الحسن في الخلافة ولكن معاوية قلبها لصالحه وسمّى العام عام الجماعة.

بهذا يتّضح في النهاية أنّ النّزعة العاطفيّة لعبت دورا مع نفوذ السّلطان ليكون التيّار الأموي - عند الشّهرستاني - هو الممثل للسّلف، وبما أنّهم يثبتون الصّفات فهم صفاتيّة ومن هناك صاروا أهل السّنّة والجماعة، وليكونوا في النّهاية أشعريّة. كما أن هذا السّلطان سلّط حربا نفسيّة على بقيّة الفرق المناوئة لسلطانه ويتجلّى هذا في الألقاب التي لُقّبت بها هذه الفرق والتي تبنّاها الشّهرستاني بكلّ بساطة.

٧٢ - الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي (أبو محمد) (٣-٥٠/٦٢٤-٦٧٠) ثاني الأئمّة الاثني عشر عند الإماميّة. ولد في المدينة المنوّرة، وأمّه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكبر أولادها وأوّلهم. غزا أصبهان. بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل ابيه سنة ٤٠/٦٦٠. انطلق لحرب معاوية ثم اختار الصلح، فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الامر لمعاوية في بيت المقدس سنة ٤١/٦٦١، وسمّي هذا العام «عام الجماعة» لاجتماع كلمة المسلمين فيه. استقر بعد ذلك في المدينة حيث توفي سنة ٥٠/٦٧٠ وقيل قتل مسموما. مدّة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام. وإليه ينسب الحسنيون. نقش خاتمه : « الله أكبر وبه استعين ». ر. الزركلي : الاعلام ٢/١٩٩-٢٠٠.

٢- جماعة علي : إن وجدنا عند الشّهرستاني تدرّجا في تحويل تسمية جماعة معاوية فإنّ الأمر يختلف بالنّسبة إلى جماعة الإمام علي ذلك أن الشّهرستاني يتّفق مع كتب الفرق المنتمية لجماعة علي والمخالفة لها على أنّ هذه الكتلة قبلت من المنطلق تسميتها بالشّيعة، ولم تر في ذلك أي ضرر رغم ما نجد في المدلول اللّغوي لهذه اللّفظة من معنى التّعصّب والانغلاق، ولهذا لا نجد إشكالا بالنّسبة إلى تسمية هذه المجموعة، وقد استمرّت إلى يومنا هذا تتبنّى هذه التّسمية بل تعتزّ بها وتعتبرها أساسا من أسس الدّفاع عن كيانها لأنّها ترى من خلالها ارتباطا وثيقا بآل البيت، ومثل هذا الارتباط جعل هذه الفرقة تعتبر أنّها أقرب الفرق إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فهي إذن أصحّ الفرق وهي الفرقة النّاجية.

٣- المحكّمة : إن الشّهرستاني، وإن ذكر كلمة المحكّمة فإنّه يعتبر أن التّسمية التّاريخية لهذه الفرقة إنّما هي الخوارج، وأشار إلى أن منطلقهم يعود إلى ذلكم الرّجل الذي اعترض على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم عند قسمة الغنائم : اعتبر حديث ذي الخويصرة التّميمي إذ قال :« اعدل يا محمد فإنّك لم تعدل». حتّى قال عليه السّلام : « إن لم أعدل فمن يعدل ؟ « ثمّ عاد اللّعين وقال : «هذه قسمة ما أريد بها وجه اللّه تعالى». ثمّ يعلّق الشّهرستاني فيقول : « و ذلك خروج صريح على النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، ولو صار من اعترض على الإمام الحقّ خارجيا، فمن اعترض على الرّسول الحقّ أولى أن يصير خارجيّا، أو ليس ذلك قولا بتحسين العقل وتقبيحه وحكما بالهوى في مقابلة النّص، واستكبارا على الأمر بقياس العقل ؟ حتّى قال عليه السّلام : سيخرج من ضئضئ هذا الرّجل

قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يتجاوز حناجرهم... يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرميّة لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل ثمود »[٧٣].

٧٣ ن.م : ١/٢٨-٢٩. والحديث في مسلم ٣ : ١١١.

- حرقوص بن زهير السّعدي (٣٧/٦٥٧) : الملقّب بذي الخويصرة : صحابي، من بني تميم. خاصم الزبير فأمر النّبيّ صلّى الله عليه وسلم باستيفاء حقه منه. وامره عمر بن الخطاب بقتال «الهرمزان» فاستولى على سوق الاهواز ونزل بها. ثمّ شهد صفين مع علي. وبعد الحكمين صار من اشدّ الخوارج على عليّ، فقتل فيمن قتل بالنهروان. وفي سيرته اضطراب.
- وإياه عنى احد شعراء الخوارج، بقوله من ابيات رواها المبرد :

وأسأل الله بيع النّفس محتسبا حتى ألاقي في الفردوس حرقوصا

ر. الزركلي : الأعلام ٢/١٧٣. لم يذكر الزّركلي الدّرجيني ضمن مراجعه. لكنّه أثبت اضطراب الأخبار في سيرته. معنى ذلك انه لم يرو عنه إلا ما اقتنع بصحّته.

- امّا الدّرجيني الذي يعتبر حرقوص بن زهير السّعدي من الطبقة الأولى من طبقات الإباضيّة مع عبد الله بن وهب الرّاسبي وهما من الجذر المشترك مع المحكمة فيدافع عن حرقوص كما يلي: «وحرقوص هذا هو الذي انتحلت فيه احاديث لا يبعد ان تكون مصنوعة فإنّ فيها ما يدل على سقمها لتناقض مثبوتها، ولكن اكثرها منتحل، ورواها على طرق.
- فمنها ما نسب اليه أنّه قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يقسّم غنائم خيبر «ما عدلت منذ اليوم » فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : الا اقتله يا رسول الله ؟ فقال إنّه يكون لهذا او لاصحابه نبأ.
- ومنها ما نسب اليه انّه لما قال ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : « ويحك فمن يعدل إن لم أعدل « ؟ ثم قال لاصحابه واحدا بعد واحد : أيكم يقتله ؟ فقال له الاوّل : « وجدته راكعا «. وقال الثاني : « وجدته ساجدا «، وقال الثالث: « لم أجده «، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو قتل هذا ما اختلف في الله اثنان «.
- ومنها انه قال وقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا ورد عليه بين اربعة من المؤلفة قلوبهم، فزعموا أنّه قال : «لقد رايت قسمة لا اريد بها وجه الله «، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورّد خداه، ثم قال : « امّنني الله على اهل الارض ولا تؤمّنني « ؟! فقام اليه عمر رحمه الله، فقال : « الا اقتله يا رسول الله « ؟ فقال : « سيكون من ضئضئ هذا اقوام تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، يقراون القرآن لا يتجاوز حناجرهم يمرقون من الدّين – إلى قوله – وتتمارى في الفوق.

ففي هذه الاخبار دلائل على سقمها من أوجه كثيرة :

احدها : انه لو صحّ عنه إنّه غير عدل إذ قال ما عدلت منذ اليوم، ما آمن ولا أقام على دينه ولا صلّى إلى قبلته أحد.

والثاني : لو صحّ عنه صلى الله عليه وسلم انه خاض بالطعن في النّبوءة لما اهمله، ولكان هو المبتدر إلى قتله ولم يكله إلى غيره.

الثالث : انّه لو صحّ ذلك عند عمر رضي الله عنه وانّه من المأمورين بقتله. وأعلمه أنّه مارق من الدّين فكيف يستعين به على الجهاد، وهو اعظم إركان الدين، فيجعله اميرا على جنوده المؤمنين، وظهيرا على قتال الكافرين.

الرّابع : انه لو صحّ عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك وانهم مامورون بقتله لم يتراخوا في قتله، بل يجعلونه اوكد فرائضهم، فكيف تسامحوا حتى خرج ثمّ لم يكترثوا به.

الخامس : انه صلى الله عليه وسلم منزّه عن ان ينسب إلى كلامه الغلوّ والمجازفة، حتى يقول لو قتل هذا ما اختلف في الله اثنان فيلزم على هذا ان تكون حياة حرقوص سببا لكفر اليهود والنصارى، والصّابين والمجوس، وعبدة الاوثان، والمعطلة والزنادقة وغيرهم، وهذا من المحال الذي ينكره الحسّ ويأباه العقل ويقوى الدّليل على بطلانه، إذ لو شاء ربّك لامن من في الارض كلهم جميعا، وحرقوص حيّا ولو شاء لضلوا جميعا قبل وجود حرقوص وبعد موته، لكنهم ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربّك﴾ ١١ هود ١١٨ فقد اتّفقوا واختلفوا، وبينهم من هو خير من حرقوص وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما اتفقوا واختلفوا وفيهم شرّ منه وهو ابو جهل، لعنه الله، فهذا يبعد ان يكون من كلام من لا ينطق عن الهوى.

السّادس : انّه قد شهد من ضئضه من حرق القرآن قلبه، وصدع كبده فضلا عن مجاوزة الحنجرة، أعني في العمل به والامتثال لاوامره، والانتهاء عن مناهيه.

السّابع : ذكر المروق. فرايك اعلم بالمارق. وباللصّ السّارق، وقد حقّق كثير منهم ممّن عامل بالإنصاف أنّ القوم إنّما قاتلوا هربا من اتباع الهوى وإطراحا لزهرة الحياة الدّنيا ورغبة فيما يرجونه عند الله في الدّار الآخرة.

وفيها ادلة كثيرة غير ما ذكرناه، فحرقوص مبرا مما قالوه، وممّا اليه نسبوا ».

- ابو العباس احمد الدّرجيني (٦٧٠/١٢٧١) : طبقات المشائخ بالمغرب. تحقيق إبراهيم طلاّي. مطبعة البعث. قسنطينة. الجزائر.٢/٢٠٣-٢٠٤.
- امّا عن الحديث فقد جاء برواية أخرى : « إنّه سيكون من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّميّة تنظر في النصل فلا ترى شيئا وتنظر من الرّصاف فلا ترى شيئا وتتمارى في الفوق.

– الرُصافة : عقبة تشدّ على مدخل سنخ النصل. ج رصائف. ويقال رصف السّهم اي شدّ عليه رصافة.

– الفوق : من السّهم : حيث يثبت السّهم منه، وهما فوقان ج فوق وافواق. ويقول عليه السّلام :« من ضئضئ هذا » – من جنس هذا– مرق السّهم من الرّمية، إذا نفذ منها، واكثر ما يكون ذلك ان لا يعلق به من دمها شيء ». المبرد : الكامل

ثمّ يبيّن عند حديثه عن معركة صفّين أن من جاؤوا من صلب هذا الرّجل اعترضوا على التّحكيم فاعتبروا خوارج « هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي اللّه عنه حين جرى أمر الحكمين... منهم حرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثّدية... (٦٥٧/٣٧) وهم الذين أولهم ذو الخويصرة وآخرهم ذو الثّدية...»[٧٤].

كما أنّه يزيد حسب رأيه تسميتين أخريين لهؤلاء : الشّراة. المارقين. ويتجلّى هذا في قوله : « ومخالفة الخوارج (لعلي)، وحمله على التّحكيم »[٧٥]. وفي قوله : « وكذلك الخلاف بينه (عليّ) وبين الشّراة المارقين بالنّهروان عقدا وقولا». « ونصب القتال معه فعلا ظاهرا معروف، وبالجملة كان عليّ رضي اللّه عنّه مع الحقّ، والحقّ معه، وظهر في زمانه الخوارج عليه...»[٧٦].

هذا ما جاء في كتاب الملل في المقدّمات. ثمّ إنّ الشّهرستاني لا يضيف شيئا عن التّسمية والألقاب عندما تحدّث عن الخوارج تفصيلا سوى الإلحاح على فكرة

١٤٢/٢.

- وقد بيّن السّالمي أن الحديث ورد في البخاري مع ما بين النّصّين من اختلاف وبرّأه من الكذب إلاّ أنّه أشار إلى أنّه «يأخذ عن أهل الأهواء». شرح الجامع الصّحيح ٥٧/١.
- ثمّ اورد نصوصا من سير الشّماخي والسّير العمانية في الثّناء على أهل النهروان وألحّ على أنّ المخالفين (غير الإباضيّة يروون أحاديث غير صحيحة او يتأوّلون).=

= - ثمّ يبين إن الحديث عندنا (الإباضية) في علماء السّوء وفي كلّ من خالف عمله كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلم. شرح الجامع الصّحيح ٥٨/١.

- كما يمكن ان يحمل على غلاة الخوارج من الازارقة والصّفريّة القائلين بشرك أهل الكبائر فإنّهم يجتهدون في التحرّز والعبادة لئلا يقعوا في الشرك... وحمله على كل من خالف الحقّ في عبادته اظهر. السّالمي : شرح الجامع الصحيح ٥٩/١.
- أمّا المحشّي في حاشية التّرتيب (الجامع الصّحيح) فقد اكتفى بالشّرح اللّغوي ٥٥/١. وقد ورد الحديث عند الربيع بن حبيب : الجامع الصّحيح ١٢/١ عدد ٣٦.
- وقد اخرجه البخاري في باب من ترك قتال الخوارج للتألّف. ر. ابن حجر : فتح الباري. القاهرة ١٣٤٨ هـ ٢٤٤/١٢-٢٤٦.
- وقد أورد المعجم المفهرس أنّه ورد في مسلم ٣ : ١.

هذا هو موقف الإباضيّة من القصّة والحديث قد جاء في غاية الوضوح.

٧٤ ن.م : ١٣٣/١-١٣٤.

٧٥ ن.م : ٣٥/١.

٧٦ ن.م : ٣٦/١.

المروق من الدّين. يقول : « إعلم أنّ أوّل من خرج على أمير المؤمنين رضي اللّه عنه جماعة ممّن كان معه في حرب صفّين، وأشدّهم خروجا عليه ومروقا من الدّين الأشعث بن قيس الكندي و...»[٧٧]

كما يذكر في موطن آخر : « وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنّهروان، وكبار الفرق، منهم : المحكّمة، والأزارقة، والنّجدات، والبيهسيّة، والعجاردة، والثّعالبة، والإباضيّة، والصّفريّة، والباقون فرعهم »[٧٨] .

فالأساس عند الشّهرستاني أنّ الخروج لم يبق خروجا سياسيا، وإنّما صار خروجا عن الدين ومروقا منه، لذلك يستحيل على من أسندت إليهم هذه التّسمية أن يقبلوها، وإنّما يعتبرونها من باب الألقاب.

والأشعري نفسه ينبّه إلى هذا فيقول : « وللخوارج ألقاب : فمن ألقابهم الوصف لهم بأنّهم خوارج. ومن ألقابهم الحروريّة، ومن ألقابهم الشّراة، والحرارية (؟) ومن ألقابهم المارقة، وهم يرضون بهذه الألقاب كلّها إلاّ بالمارقة فإنّهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدينّ كما يمرق السّهم من الرميّة. والسبب الذي سمّوا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب، والذي له سمّوا حروريّة نزولهم بحروراء في أوّل أمرهم. والذي له سمّوا شراة قولهم : شرينا أنفسنا في طاعة اللّه، أي بعناها بالجنّة »[٧٩] .

---

٧٧ ن.م : ١/١٣٢.

– الاشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي (أبو محمد) (٢٣ ق هـ-٤٠/٦٠٠-٦٦١) أمير كندة في الجاهلية والإسلام. اعتنق الإسلام بين يدي الرّسول عليه السلام. شهد اليرموك فاصيبت عينه. امتنع عن تاديّة الزّكاة مع بعض قومه فهزمهم والي ابي بكر على حضرموت واتى به إلى ابي بكر ليرى فيه رايه فاطلقه وزوّجه اخته امّ فروة فاقام في المدينة وشهد الوقائع وابلى البلاء الحسن. ثمّ كان مع سعد بن ابي وقاص في حروب العراق. ولما ال الامر الى علي كان الاشعث معه يوم صفين، على راية كندة. وحضر معه وقعة النهروان. وورد المدائن، ثمّ عاد إلى الكوفة فتوفي فيها إثر اتفاق الحسن ومعاوية. ر. الزركلي : الاعلام ١/٣٣٢.

٧٨ ن.م : ١/١٣٣.

٧٩ الاشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين، تحقيق محمد محي الدّين عبد الحميد. مكتبة النّهضة المصريّة. القاهرة. ط٢. ١٣٨٩/١٩٦٩. ج١/٦٠٢-٦٠٧.

وإذا علمنا أن هذه الطّائفة أقامت سلسلة من الثّورات المتواصلة ضدّ الحكم الأموي فلا شكّ أنّ هذه الدّولة إلى جانب الفتك بهم عسكريّا اعتمدت على حروب نفسيّة من أسسها تلقيب هؤلاء النّاس بألقاب تبعد عنهم من يرغب في الانتصار لهم. وواضح أنّ موقف الشّهرستاني، رغم أنّه ذكر في مقدّماته أنّه يورد الأحداث كما هي :« وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كلّ فرقة على ما وجدته في كتبهم، من غير تعصّب لهم...»[٨٠]، بدا منحازا بصفة صريحة حيث يقول : « وبالجملة كان علي رضي اللّه عنه مع الحقّ، والحقّ معه »[٨١] وليس من حقّنا أن ننتقد الشّهرستاني لأنّه له أن يقف الموقف الذي يريد لولا أنّه اشترط على نفسه أن يتحدّث عن الفرق عن موقف محايد: « دون أن أبيّن صحيحه من فاسده، وأعيّن حقّه من باطله »[٨٢].

وإذا رجعنا إلى مصادر هذه الطائفة لا نجد منها الآن إلاّ ما بقي عند الإباضيّة الذين اعتبرهم الشّهرستاني واحدة من فرق الخوارج، بينما تلاشت مصادر الفرق الأخرى مع الزّمن ولا نجد الحديث عنهم إلاّ من خلال كتب خصومهم لذلك سنعتمد موقف الإباضية في انتظار أن يكشف التّاريخ عن بعض مصادر الفرق الأخرى.

إن من كتبوا في الفرق وعلم الكلام من الإباضيّة يرفضون رفضا باتّا تلقيبهم بالخوارج على أساس أنّ هذه الكلمة غلب عليها مدلول الخروج من الدّين، كما يرفضون هذه الكلمة بمدلولها السّياسيّ لأنّهم يعتبرون أنّهم لم يخرجوا عن الإمام علي وإنّما هو الذي تخلّى عن بيعته الشرعيّة بتفويض الأمر إلى الحكمين،

٨٠ الملل. ٢٢/١.
٨١ ن.م : ٣٦/١.
٨٢ ن.م : ٢٢/١.

ولذلك قد استتابوه قبل أن يبايعوا عبد اللّه ابن وهب الرسبي، فلمّا لم يقبل التّوبة حسب مفهومهم أي لم يرجع إلى بيعته الأولى صاروا في حلّ من أنفسهم.

ثمّ يقولون لمن يتّهمهم بالخارجيّة كان أولى أن تسمّى جماعة طلحة والزّبير خوارج لأنّهم خرجوا فعلا عن إمامة شرعيّة، وأولى أيضا أن يسمّى معاوية وجماعته خوارج لأنّه شقّ عصا الطّاعة برفضه التّخلي عن ولاية الشّام رغم صدور أوامر الخليفة الشّرعي بذلك، وهم بهذه الطّريقة يقلبون اللّقب على من وجّهه إليهم.

أمّا كلمة المارقة فلا شكّ أنّها وضعت إشارة إلى الحديث المذكور آنفا. ولا شكّ أنّ في هذا تجاوزا لمستوى النّبز بالألقاب إلى مستوى الإخراج من الملّة والتّفكير، وظاهرة الحرب النفسيّة واضحة هنا دون أن تحتاج إلى تأويل.

أمّا التّسميات التي تتبناها هذه الطائفة، وهي لا تخلو من شحنة عاطفيّة، فهي :

جماعة المؤمنين لأنّهم يرون أنّهم حافظوا على الإيمان عقيدة وقولا وعملا بخلاف المرجئة الذين يكتفون بالقلب، ويفصلون القلب عن العمل، ومن هذه صفته لن يكون إلاّ الفرقة النّاجية من النّار.

المحكّمة : كما يقبلون تسميات نسبت إليهم كما يذكر الأشعري. المحكّمة: إشارة إلى قولهم لا حكم إلاّ للّه، ويقصدون من خلال هذه الإشارة ألاّ سبيل إلى إيقاف الحرب في معركة صفّين لأنّ عملية رفع المصاحف خدعة، لا كما أوّلتها المجموعات الأخرى بأنّها كلمة حقّ أريد بها باطل. ومعلوم أنّه لا يطّلع على مواطن الإرادة إلاّ اللّه عز وجلّ.

الشّراة : كما يقبلون تسميتهم بالشّراة جمع شار على أساس أنّهم باعوا أنفسهم في سبيل اللّه.

الحروريّة، أهل النّهروان : وتضاف إلى هذا تسميتان فيهما إشارة إلى موقعين نزلت فيهما هذه الجماعة. الموقع الأوّل: حروراء مكان قرب الكوفة ومنه الحروريّة أو أهل حروراء. الموقع الثاني: النهروان قرب بغداد وهو المكان الذي بايعوا فيه عبد اللّه بن وهب الرّاسبي، وبه اشتهرت واقعة النّهروان التي كاد علي أن يستأصلهم فيها، ومن هذا الموقع عرفوا بأهل النّهروان.

ولسنا ندري لم غفل الشّهرستاني عن إثارة هذه القضيّة رغم أنّها جاءت صريحة عند شيخه أبي الحسن الأشعري في مقالاته كما أوردنا النّص قبل حين. (ص ٦٧)

٤- القدريّة : يقول الشّهرستاني إن هذا اللّقب يسند إلى من عرفوا بأصحاب العدل والتّوحيد : « ويسمّون أصحاب العدل والتّوحيد ويلقبون بالقدريّة».

كما يسند الشّهرستاني لقبين آخرين إلى هذه الفرقة : المعتزلة، والمعطّلة: « ولما كانت المعتزلة ينفون الصّفات والسّلف يثبتون سمّي السّلف صفاتية والمعتزلة معطّلة »[٨٣]. أمّا المعتزلة فلاعتزال شيخهم واصل بن عطاء (٧٨٤/١٣١)حلقة الحسن البصري (٧٢٨/١١٠) و يقال لهم الواصلية، واعتزالهم يدور على...»[٨٤].

٨٣ ن.م : ١/١٠٤.
٨٤ ن.م : ١/٦٠.
- واصل بن عطاء الغزّال (أبو حنيفة) (٨٠-١٨١/٧٠٠-٧٤٨) : من موالي بني ضبّة من أو بني مخزوم، رأس المعتزلة ومن ائمّة البلغاء والمتكلمين. ولد بالمدينة ونشأ بالبصرة. ولم يكن غزّالا، وإنما لقب به لتردده على سوق الغزّالين بالبصرة، لقب اصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري. ومنهم طائفة تنسب إليه « الواصلية ». وهو الذي نشر مذهب الاعتزال في الإفاق. بعث من اصحابه عبد الله بن الحارث إلى المغرب، وحفص بن سالم إلى خراسان، والقاسم إلى اليمن، وايّوب إلى الجزيرة، والحسن بن ذكوان إلى الكوفة، وعثمان الطويل إلى ارمينية. له تصانيف منها : « أصناف المرجئة ». و«المنزلة بين المنزلتين » و« معاني القران»... ر. الزركلي : الاعلام ٨/١٠٨-١٠٩.

كما يلقّبهم الشّهرستاني بلقب آخر اعتمادا على قولهم بعدم خلف الوعيد وهو الوعيديّة.

والمتأمل في مصادر هذه الفرقة يجد أنّها اختارت لنفسها تسمية جذّابة فمن يكره أن يكون من أهل العدل والتّوحيد، ومن صفته هذه لن يكون إلاّ الفرقة النّاجية. ونحن نعلم أنّه كان لهذه الطائفة فضل كبير على الفكر الإسلامي عامّة وذلك بجرأتها على إعمال العقل، وقد كلّفتها هذه الجرأة مثل هذه الألقاب، فهم قدريّة إشارة إلى الحديث : « القدريّة مجوس هذه الأمّة » وإلى الحديث : « القدريّة خصماء الرحمان في القدر»[٨٥] .

وذلك لأنّ هذه الطائفة ألحّت على حريّة الإنسان إلحاحا كبيرا إلى حدّ أنّها نزعت عن اللّه تعالى خلق الشرّ تنزيها له وجعلته من خصائص الإنسان، هذا بالنّسبة إلى اللّقب الأوّل، أمّا اللّقب الثّاني وهو المعطّلة فقد تردّد علماء الكلام كثيرا في شأن صفات اللّه تعالى هل هي صفات فعليّة يوصف بها اللّه تعالى دون أن يكون لها كيان في الوجود، وقد اختارت هذه الطّائفة المفهوم الثّاني على أساس التّنزيه فرماها الطّرف الآخر بالتّعطيل معنى ذلك بالكفر.

أمّا لقب الاعتزال فمتّفق على أنّه يرجع إلى اعتزال واصل بن عطاء حلقة شيخه الحسن البصري وفيه ضرب من التّهجين والاحتقار، ولم تر هذه الفرقة في ما نعلم حرجا من هذا اللّقب لأنّها تعتبر أنّ الحسن البصري من أقطابها وإن اختلف مع تلميذه في قضيّة المنزلة بين المنزلتين.

---

٨٥ ن.م : ٥٦/١.
حديث « القدرية مجوس...» انظر ما سبق ص ٥٧ تعليق ٣٩ .
– حديث « القدريّة خصماء » لم يرد في المعجم المفهرس.

بقي لقب الوعيديّة ويلقّب به المحكّمة أيضا على أساس قولهم بأنّ اللّه عادل، فكما أنّه لا يخلف وعده لا يمكن أن يخلف وعيده، وهذا ركن من أركان الفكر الاعتزالي يبنى عليه القول بخلود من مات على كبيرة، دون أن يتوب منها، في جهنّم.

وخلاصة القول إنّ الشّهرستاني رغم تحرّيه، ورغم انتباهه إلى التّمييز بين التّسميات والألقاب فإنّه قد انحاز انحيازا واضحا لفرقته والْتَمَسَ لتطّور تسمياتها عديدا من المبرّرات، بينما لم يحاول أن يفهم منطق الفرق الأخرى من داخل منظوماتها، ولذلك اعتبر أنّ فرقته هي الفرقة المقياس، فما وافق عند الفرق الأخرى ما قال به الأشاعرة فهو الصّواب وما لم يوافق ما جاء عندهم فيشار إليه بالألقاب، وهذا خطأ، ولم يكن الشّهرستاني بدعا في هذا بل واكب من سبقوه من أمثال الملطي[٨٦] (٩٨٨/٣٧٧) والأشعري.

وبقي أن نشير إلى أنّ الشّهرستاني وقع بصفة عامّة في خطإ منهجيّ بالنّسبة إلى التّسميات والألقاب إذ أطلقها على أصحابها قبل أن توجد الفرق بصورة جليّة[٨٧]، وكان أولى وخاصّة في المقدّمات أن يشير إلى التيّارات بصفة مجرّدة ليصل إلى مرحلة تبلور التّسميات حيث صارت من المسلّمات الّتي اتّفق عليها النّاس واتّفقت عليها كتب الفرق.

٨٦ محمد بن أحمد بن عبد الرحمان أبو الحسن الملطي العسقلاني (٩٨٧/٣٣٧) : قال عنه ابن الجزري : « نزيل عسقلان فقيه، مقرئ، متقن ثقة ». عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعيّة. من اهل « ملطيّة ». نزل بعسقلان وتوفي بها. له تصانيف في الفقه وغيره، منها: « التنبيه والرّد على اهل الاهواء والبدع » ط. حققه زاهد حسن الكوثري وقدم له ط بيروت ١٣٦٨/١٩٤٩. وله « قصيدة » في ٥٩ بيتا، عارض بها قصيدة لموسى بن عبيد الله الخاقاني، في وصف القراءة والقراء. ر. الزركلي: الاعلام ٥/٣١١. ومقدّمة الطبعة المذكورة لكتاب « التنبيه والرّد».

٨٧ نقصد من خلال هذه الملاحظة أنّه كان أولى بالشّهرستاني وإن كانت الأسماء متداولة بين النّاس، ألاّ يستعملها من البداية عند الحديث عن بذور هذه الفرق، وذلك تماشيا مع منطق الاحداث ليكون اقرب إلى الموضوعيّة التي الزم بها نفسه. فيحسن مثلا في البداية عند الحديث عن الشيعة ان نقول انصار الامام علي او ما شابه ذلك إلى ان يتبلور المصطلح، ذاك ان هذا المصطلح لم يتبلور إلا فيما بعد، وكذا بالنسبة إلى بقيّة الفرق.

الخاتمة

من خلال إجاباتنا عن التساؤلين المطروحين في المقدّمة يمكن أن نسجل بعض السّمات التي يتميّز بها الشّهرستاني في كتاب الملل والنّحل :

١ - إلمام شاسع ودقيق بخصائص المدرسة الأشعريّة والعوامل التي جعلتها تملأ السّاحة الإسلاميّة في عدّة مواطن.

٢ - سيطرة عقليّة واضحة على مختلف الأحداث التي ولّدت الفرق الإسلاميّة على تشعّب هذه الأحداث.

٣ - قدرة واضحة على عرض هذه الأحداث عرضا مختصرا غير مخلّ فكان في ذلك عند وعده.

٤ - منهجيّة واضحة في ما يوحي بذكر عوامل النّشأة رغم تشابك هذه العوامل، مع وعي تام بتقديم العامل الأصولي والعامل السّياسيّ على غيرهما.

٥ - قدرة واضحة على حسن التّصرف في المنقول عن مختلف المصادر دون الوقوع في محاكمته، بل استغنى حتّى عن الإحالة عليه وهذا ليس بالأمر الهيّن.

لكن هذه الميزات لا تمنع من أن نذكر بعض ما في عمله هذا من نقائص، نعلم أنّه يصعب تجاوزها في ذلك العصر خاصّة، وفي مثل هذه البحوث العقديّة التي يعسر فيها بل يستحيل على الإنسان أن يتخلّى عن قناعته الذاتية وعن مناصرة المدرسة التي ينتمي إليها. بل إنّ ذلك يعدّ من الحسنات آنذاك في مثل هذا

الفنّ، ولنا في ما يجري في المناظرات الكلاميّة من أحجيات أحيانا أقوى دليل على ذلك. وما هذه المؤلّفات إلاّ ضرب من المناظرات الهادئة، التي يعتبر فيها المؤلّف أنّ فرقته هي النّاجية وبقيّة الفرق هلكى.

١ - الانحياز المطلق إلى المدرسة الأشعريّة.

٢ - اعتبار هذه المدرسة مقياسا، فما جاء عند بقيّة الفرق مخالفا للأشاعرة يعتبر من الباطل.

٣ - اختيار أحسن الأسماء لهذه المدرسة : إنهم أهل السنّة و الجماعة.

٤ - السّكوت المطلق عن المطاعن التي وجّهت لهذه المدرسة حتّى من باب دحضها.

٥ - نبز بقيّة الفرق الأخرى بالألقاب دون محاولة النّظر في رفض هذه الفرق لمثل هذه الألقاب.

٦ - السّكوت عن مصادر كثير من الفرق المخالفة للأشاعرة رغم ذكره الاطلاع على المصادر واقتناصه أوانسها وشواردها.

٧ - لم يحاول مناقشة حديث الفرق بل طوّعه لخدمة فرقته ولا نشك في اطلاعه على عدد من بقية الروايات لكنّه سكت عنها مطلقا.

ومع هذا يبقى كتاب الملل والنّحل للشّهرستاني وثيقة تاريخيّة هامّة للتّعرف على عوامل نشأة الفرق الإسلاميّة وتسميتها وألقابها على ألاّ يعتبر ما قاله قولا فصلا يقبل كلّه، بل يبقى منه ما ثبتت صحّته بعد النّقد والتّمحيص، ويرفض ما لم يخضع لمقاييس البحث العلمي المعتمدة.

خارطة (١): الدولة الإسلامية في زمن الفتنة

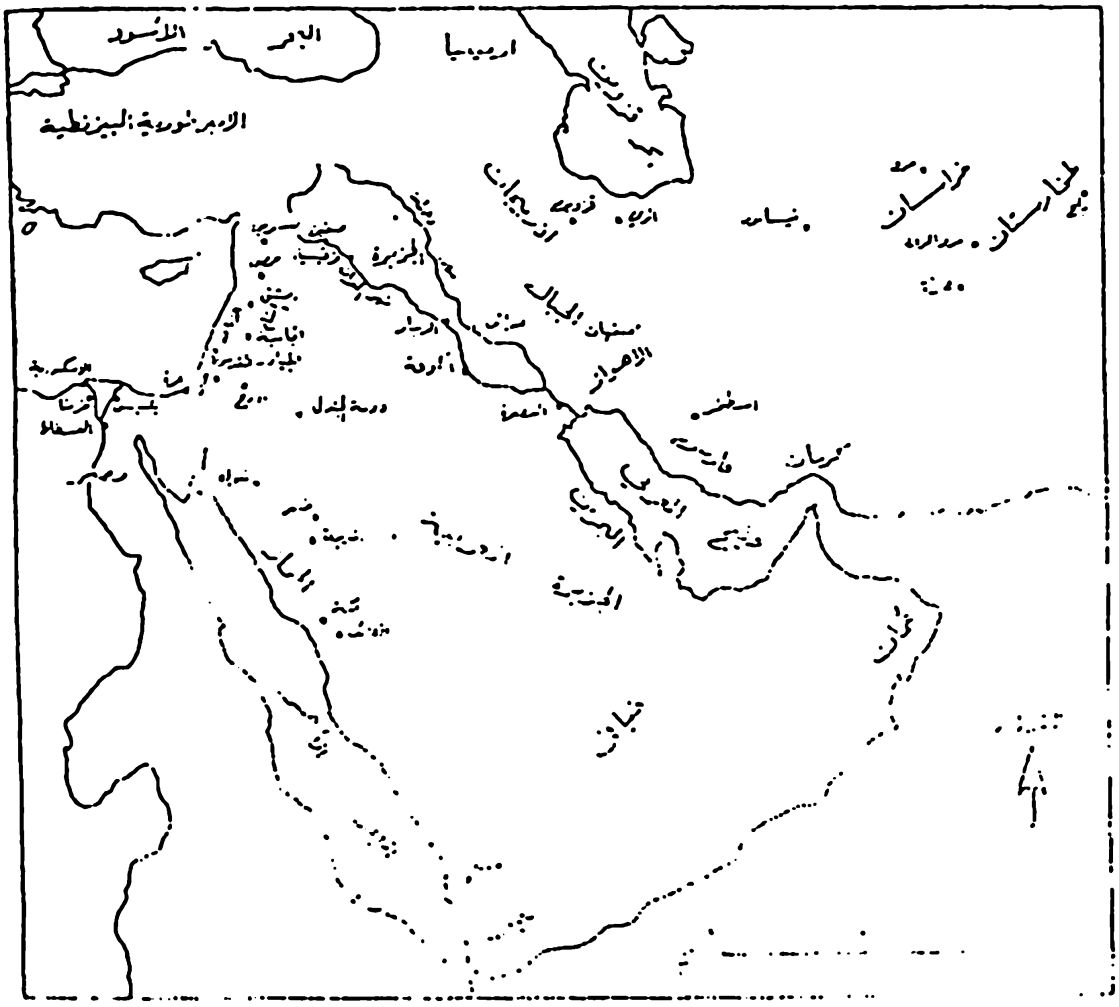

خ... ...س. ...س. أطلس تاريخ الإسلام
شاكر ودارون. أطلس التاريخ الإسلامي
شلبي. جغرافية الفتنة
جلس. جريدة. العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام

خارطة (٢): العراق في زمن الفتنة

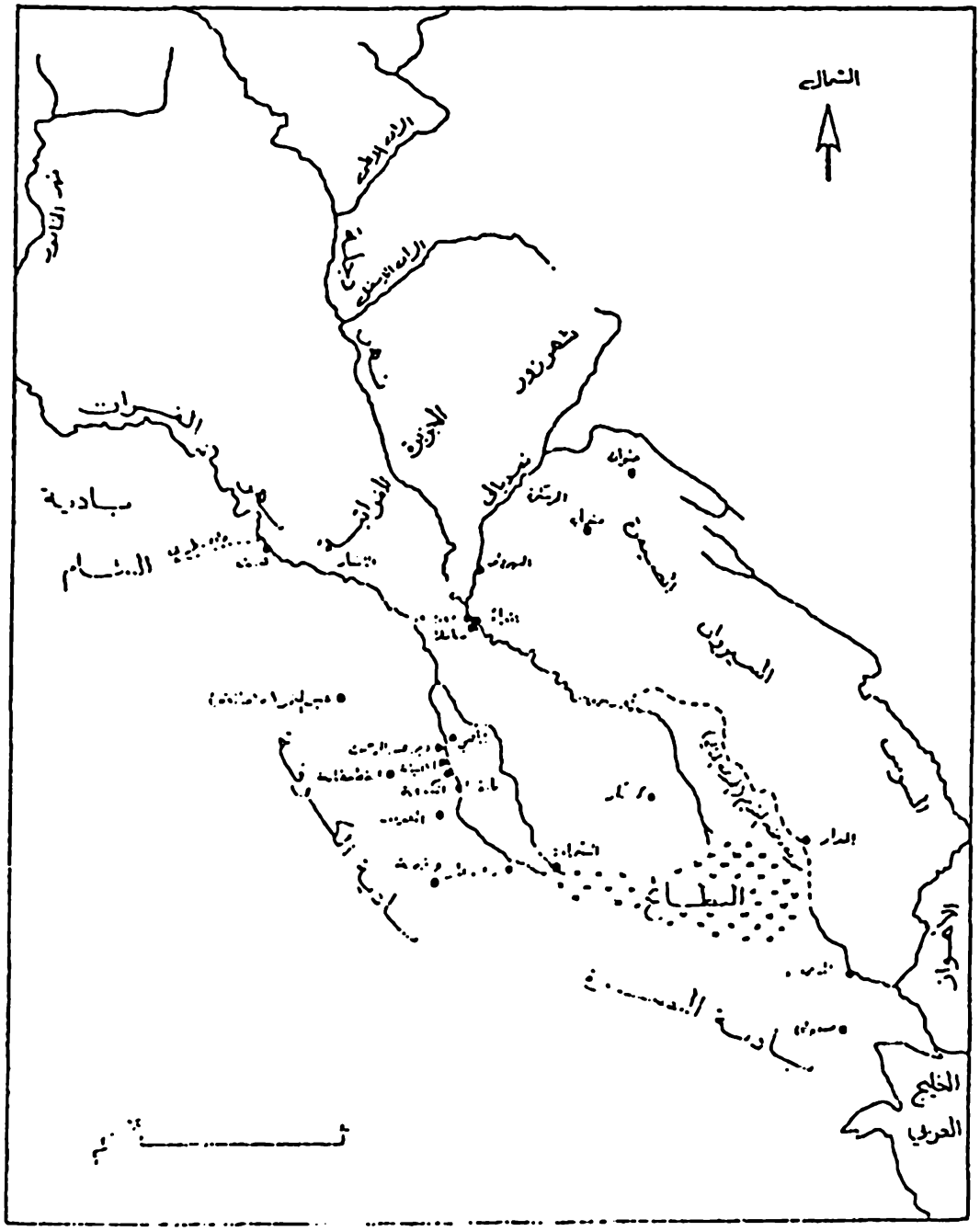

عن حسين مؤنس. أطلس تاريخ الإسلام
هاري وهازارد. أطلس التاريخ الإسلامي
هشام جعيط. الفتنة

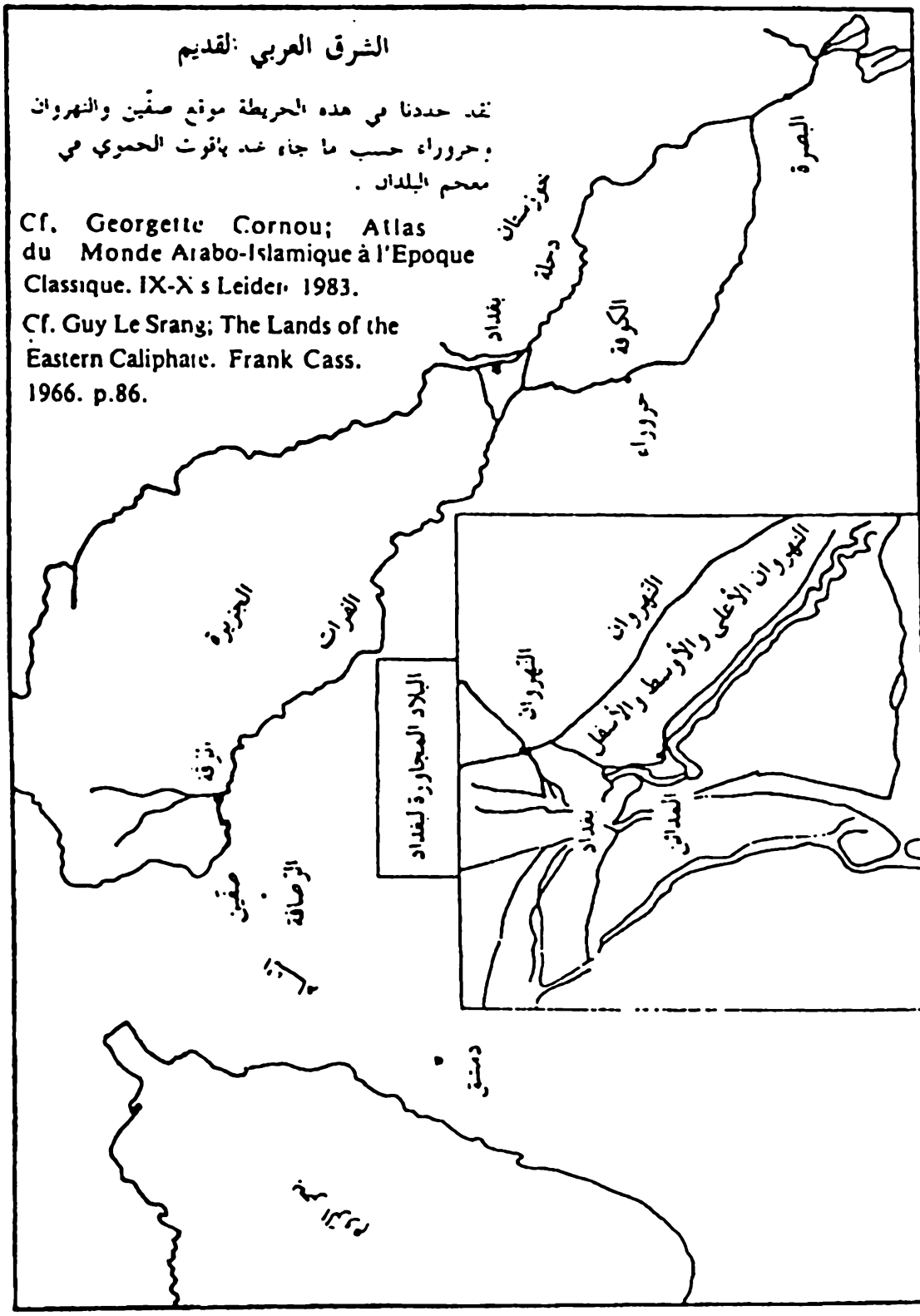
الشرق العربي القديم
نحدد في هذه الخريطة موقع صفين والنهروان وحروراء حسب ما جاء عند ياقوت الحموي في معجم البلدان .
Cf. Georgette Cornou; Atlas du Monde Arabo-Islamique à l'Epoque Classique. IX-X s Leiden 1983.
Cf. Guy Le Srang; The Lands of the Eastern Caliphate. Frank Cass. 1966. p.86.
البصرة
نهر تيرى
دجلة
بغداد
الكوفة
حروراء
الجزيرة
الفرات
الرقة
البلاد المجاورة لبغداد
النهروان
النهروان الأعلى والأوسط والأسفل
بغداد
المدائن
صفين
الرصافة
دمشق

المصادر والمراجع

المصادر :

- القرآن الكريم : برواية ورش عن الإمام نافع بخط محمد بن سعيد شريفي في القرارة ٢٦ رمضان ١٣٩٨ وقامت بطبعه ونشره الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر. رقم النشر ١٩٧٩/٧٧٢.

- الحديث الشريف : اعتمدت كتب الصّحاح لإثبات نصوص الحديث المتعلقة بالفرق.

- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشّهرستاني ٤٧٩-٥٤٨/١٠٨٦-١١٥٣ : الملل والنّحل تمتاز هذه الطبعة بالفهارس العامة. تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاغور. دار المعرفة. بيروت. لبنان. ط٤. ١٤١٥/١٩٩٥. اعتمدنا في البداية طبعة أخرى ثم عندما صدرت هذه الطبعة أرجعنا إليها جميع الإحالات.

المراجع :

- ابن أبي ستة (عمر بن يحيى) (١٧/١١) :

المجموع المعوّل لما عليه السّلف الأوّل. خ بالبارونية. جربة. به ٦٢ ص١٧ سطرا (١٦/١٥) صم.- د.ت.

- ابن جميع (أبو حفص عمر) (١٤/٨) :

مقدمة التوحيد وشروحها لأحمد الشّماخي وداود التلاتي، صحّحها وعلّق عليها أبو اسحاق ابراهيم اطفيش.- ط١ القاهرة ١٣٥٣ هـ، ١٢٠ ص. إعادة طبعه ط ٢ خليفة الشيباني بطرح تحقيق ابراهيم اطفيش، ط ٢. دار الفتح لبنان ١٣٩٢/١٩٧٣. ١٦٧ ص.

- ابن حسن (بلقاسم) (معاصر) :

آراء أبي منصور الماتريدي الكلامية : رسالة مقدمة لقسم الكلام والتصوف بالكلية الزيتونية للحصول على دكتوراه الحلقة الثالثة بإشراف د. علي الشابّي. السنة ١٤٠٢/١٩٨٢، مرقونة بمكتبة الكلية الزيتونية. ٤٢٦ صفحة الحجم الكبير. ٢٠ سطرا بالصفحة.

- ابن حزم (٤٥٦/١٠٦٤) :

الفصل في الملل والأهواء والنحل. مطبعة التمدن. نشر دار الفكر. ١٣٢١/١٩٠٣.

- ابن خلدون (عبد الرحمان) (٨٠٨/١٤٠٦) :

المقدمة وكتاب العبر، ط بيروت ١٩٦٧.

- ابن خلفون (أبو يعقوب يوسف) (١٢/٦) :

أجوبة ابن خلفون، تحقيق وتعليق د. عمر خليفة النامي- دار الفتح للطباعة والنشر بيروت.ط١. ١٣٩٤/١٩٧٤, ١٢٨ص.

- ابن سلاّم (لوّاب) (بعد ٢٧٣/٨٨٧) :

كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين. تحقيق الشيخ سالم بن يعقوب وقيرز سفارتز. دار صادر بيروت ١٤٠٦/١٩٨٦.

- ابن عبد السّلام (جعفر بن محمد) :

ابانة المناهج في نصيحة الخوارج. خ ضمن مجموع بدار الكتاب الوطنية بالقاهرة رقم ٢٥٤٩٩ ب من ورقة ١٥٤-١٦٩، نسخ عبد الله الحرّاني ١٣٤١ ومنه نسخت المخطوطة التي بين أيدينا. الناسخ سيد حسن عشماوي ١٩٨٢. ٥٨ ص بكل منها ١٥ سطرا،٢٥ X ١٥صم

- ابن يوسف (سليمان بن داود) (معاصر) :

الخوارج هم أنصار الإمام علي كرم الله وجهه. الطبعة الأولى. ١٤٠٣/١٩٨٣.دار البعث للطباعة والنشر،قسنطينة، الجزائر.٢٣٤ص.

- أبو زهرة محمد (معاصر) :

تاريخ المذاهب الإسلامية. جزآن. ط دار الفكر العربي. د.ت.

- أبو عمرو عثمان بن خليفة المارغني السّوفي (١٢/٦):

. كتاب السؤالات. خط مغربي واضح : العناوين الهامة باللون الأحمر ٢٧٧ ص. ٥/١٧, ١٠ صم. عدد السطور بالصفحة : ٢٤، تم على يد ناسخه لنفسه ولمن شاء الله بعده: عبد الله بن سليمان بن يحيى بن عيسى النفوسي، وقع الفراغ منه يوم السابع من شوال سنة ١١٨٤/ ١٧٧٠ وهو بمجلد مع رسائل وكتب أخرى، مصوّر عندي من مكتبة الهادي بوشداخ. فاتو. جربة.

.رسالة مختصرة في الفرق الإباضية ط الجزائر د.ت ص٥٣-٧٠.

- أبو عمّار عبد الكافي (قبل ٥٧٠/١١٧٤ م) :

كتاب الموجز في الكلام، حققه د. عمار الطالبي بعنوان: «آراء الخوارج الكلامية» (انظر عمار الطالبي). يبدأ من ص ٢٥٥ بالجزء الأول، وينتهي في آخر الجزء الثاني ص٣٠٨.

- أبو مهدي عيسى بن اسماعيل (٩٧١/١٥٦٤) :

الرد على البهلولي.- طبعة حجرية بالمطبعة العلمية بحاضرة تونس ١٣٢١. ضمن مجموع بعنوان : الرّدّ على العقبي. لامحمد اطفيش من ص ١٠٦-١٨٧.

- أبو اليقظان إبراهيم (١٣٩٣/١٩٧٣) :

دفع شبه الباطل عن الإباضية الوهبية المحقّة. مقال مخطوط بالقرارة. ١٣٨٦/١٩٦٦ به ٨ صفحات من الحجم الكبير ١٥/٢٨، ٢٨ سطرا. يرد فيه على ٣ أسئلة : ١) هل الإباضية الوهبية من الخوارج ؟ ٢) هل الإباضية الوهبية

من القتلة السفاحين لدماء أهل التوحيد ومن المعتدين عليهم ؟ ٣) من هم رؤوس الخوارج في ذلك العهد ؟

- الاسفراييني (أبو المظفر) (١٠٧٨/٤٧١) :

التّبصير في الدين وتمييز الفرقة عن الفرق الهالكين. تحقيق كمال يوسف الحوت. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية. عالم الكتب ط ١. ١٤٠٣/١٩٨٣. بيروت.

- إسماعيل (محمود) (معاصر) :

الخوارج في المغرب الإسلامي، بيروت، دار الدعوة ١٩٧٦. ٣٣٦ص.

- الأشعري (أبو الحسن) (٩٤٢/٣٣٠) :

. الإبانة عن أصول الدّيانة. حقّقه وخرّج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان. دمشق. بيروت ط ١. ١٤٠١/١٩٨١.

. كتاب اللّمع في الرّد على أهل البدع. تحقيق د. حمّودة غرابة. نشر مكتبة الخانجي. القاهرة. ١٩٥٥.

. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد. ط ٢ مكتبة النهضة المصرية. ١٣٨٩/١٩٦٩.- ج ١ : ٣٥١ ص ج ٢ : ٢٨٠ ص.

- اطفيش (محمد بن يوسف) (١٣٣٢/١٩١٤) :

إزالة الاعتراض على محقّي أهل إباض. ط حجرية١٣١٤هـ.

- بكير (سعيد أعوشت) (معاصر) :

دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر ط ١ ١٤٠٢/١٩٨٢، ١٦٠ ص.

- البّرادي (أبو القاسم بن إبراهيم) (١٤/٨) :

رسالة الحقائق-حجرية ضمن مجموع. الجزائر. د.ت من ٣٣-٥٥

- البغدادي (عبد القاهر) (١٠٣٧/٤٢٩) :

الفرق بين الفرق وبيان الفرقة النّاجية منهم، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط بيروت ١٤٠٠/١٩٨٠. ٣٣٥ صفحة.

- البلخي (أبو القاسم) (٩٣١/٣١٩)، القاضي عبد الجبار (١٠٢٤/٤١٥)، والحاكم الجشمي (١١٠١/٤٩٤) :

فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، حقّقها فؤاد سيد. الدار التونسية للنشر تونس ١٣٩٣/١٩٧٤. ٤٥١ ص.

- بيّوض إبراهيم (١٩٨١/١٤٠١) :

الإباضية ليسوا خوارج، ضمن أجوبة وفتاوى. نشر دار الدّعوة، نالوت ليبيا ١٣٩٠/١٩٧١ من ص ٣٧-٥٣.

- الجّعْبيري (فرحات) :

البعد الحضاري للعقيدة الإباضية. مطبعة الألوان الحديثة. سلطنة عمان. نشر جامعة السّلطان قابوس ١٤٠٨/١٩٨٧.

- جولد تسيهر (اجناس) (١٣٤٠/١٩٢١) :

العقيدة والشّريعة في الإسلام، تاريخ التطّور العقدي والتشريعي في الدين الاسلامي. ٤٠٧ص.- نقله الى العربية وعلّق عليه د. محمد يوسف موسى ود. علي حسن عبد القادر، عبد العزيز عبد الحق.- الطبعة ٢ : ١٣٧٨/١٩٥٩. الناشر : دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد.

- حسن (إبراهيم) :

تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي ج١ ط بيروت ١٩٨٠.

- د. خليفات (عوض) (معاصر) :

نشأة الحركة الاباضية.- نشر بتعضيد من اتّحاد المؤرخين العرب ١٩٧٨. مطابع دار الشعب. عمان. الاردن. ٢٢٦ص.

- الدّرجيني (أحمد بن سعيد) (أبو العباس)(٦٧٠/١٢٧١) : طبقات المشائخ بالمغرب. حققه ابراهيم طلاي. مطبعة البعث قسنطينة الجزائر د.ت جزآن.

- الرّبيع بن حبيب (حوالي ١٧٠/٧٨٦) :

الجامع الصحيح مسند الامام الربيع بن حبيب، حققه أبو إسحاق ابراهيم اطفيش على ترتيب الشيخ ابي يعقوب يوسف بن ابرهيم الوارجلاني. ط٢ القاهرة ١٣٤٩ هـ.- المطبعة السلفية ومكتبتها، مجلد واحد يحتوي على ٤ اجزاء

ج١ : ٨٠ص، ج٢: ٧٨، ج٣ : ٣٤ ص، ج٤ : ٤٠ص.

- السّالمي (عبد الله) (١٣٣٢/١٩١٤) :

. مشارق أنوار العقول، صححه وعلق عليه مفتي سلطنة عمان أحمد ابن حمد الخليلي، ط٢ مطابع العقيدة، سلطنة عمان ١٣٩٨/١٩٧٨.-٤٦٧ص.

. شرح الجامع الصحيح.-ط ٢. المطابع العالمية، سلطنة عمان د. ت ٣ أجزاء ج ١ : ٣٥٤ ص، ج٢ : ٤٠٠ ص. ط ١ الجزء الثالث صححه وعلق عليه عز الدين التنوخي. يحتوي على ٦٤٤ ص.- المطبعة العمومية دمشق ١٣٨٣/١٩٦٣.

- السّيابي (سالم بن محمود) (معاصر) :

اصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج، شرح سيدة اسماعيل كاشف. - ط. مطابع سجل العرب ١٩٧٩ ، نشر وزارة التراث، عمان، به ٦٥ ص.

- د. الشابي (علي) (معاصر) :

كتاب مباحث في علم الكلام والفلسفة، توزيع دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع. تونس، ط١. ١٩٧٧. ٢٤٨ ص.

- الشابّي (علي)، أبو لبابة حسين، وعبد المجيد النجار (معاصرون) :

المعتزلة بين الفكر والعمل.- طبع بمصنع الكتاب للثركة التونسية للتوزيع ١٩٧٩. ١٩٤ ص.

- شلبي (أحمد) (معاصر) :

موسوعة التّاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج١. ط٦ القاهرة. ١٩٧٤. ٤٧٦ص.

- الشّماخي (أبو العباس أحمد) (١٥٢٢/٩٢٨) :

كتاب السير.ط حجريته، القاهرة. ١٣٠١هـ. ٦٠٠ صفحة.

- الطّالبي (د. عمّار) (معاصر) :

آراء الخوارج الكلامية، تحقيق كتاب الموجز لأبي عمار عبد الكافي.- نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ١٣٩٨/١٩٧٨. مطابع الشروق. بيروت. القاهرة.- ج١: ٤٣٦ ص، ج٢ : ٣٠٨ص.

- الطالبي (د. محمد) (معاصر) :

- دراسات في تاريخ إفريقية وفي الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس، السلسلة الرابعة تاريخ. المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية. ١٩٨٢. ١٢٤٨ ص.

- الطبري (٣١٠/٩٢٣) :

تاريخ الأمم والملوك. دار المعارف، القاهرة ١٣٥٨/١٩٣٩.

- عبد النّاظر (محسن) (معاصر) :

مسألة الإمامة والوضع في الحديث عن الفرق الإسلامية. الدار العربية للكتاب. ١٩٨٣. ٥٧٨ ص.

- الماتريدي (٣٣٣/٩٤٤) :

شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت. عني بطبعه ومراجعته عبد الله بن إبراهيم الانصاري. منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت. ١٣٢١هـ ٤٤٠ص

- محمد عبده (١٣٢٣/١٩٠٥) :

رسالة التوحيد، تحقيق السيد محمد رشيد رضا ط١٥، دار المنار. مصر. ١٣٧٢. ٢٠٨ ص.

- معمّر (علي يحيى) (١٤٠١/١٩٨٠) :

الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث ٤٩٤ صفحة. مطابع سجل العرب. ط١. ١٣٩٦/١٩٧٦.

- المهدي المرتضى (٣٤٠/٩٢٢) :

المنية والأمل في شرح الملل والنّحل.

- المَلَطي (محمد بن أحمد) (٣٧٧/٩٨٧) :

التّنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع. قدّم له وعلّق عليه محمد زاهد الكوثري. ١٣٨٨/١٩٦٨، مكتبة المثنى بغداد ومكتبة المعارف بيروت. ٢٢٠ ص.

- الوارجلاني (أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم) (٥٧٠/١١٧٤):

كتاب الدّليل لأهل العقول لباغي السبيل بنور الدليل، لتحقيق المذهب الحقّ

بالبرهان الصّادق. ج١ ص، ج٢ : ١١١ص. من ٨٥ إلى ١١١ تعلقة في المنطق. كتاب مرج البحرين في المنطق، بحر الالفاظ في الكلم، وبحر المعاني والحكم- ج٣ : ٢٥٥ص كتاب الرسائل.- ط١ حجرية، حجم متوسط. المطبعة البارونية الكائنة بطولون بمصر سنة ١٣٠٦هـ. ط٢. بعمان نشر وزارة التراث. مجلدان.

ملاحظة :

وإن لم نحل في التّعليق على جميع المراجع المذكورة فإننا لا شك استفدنا منها عند إعداد بحثنا عن العقيدة الإباضية ولولا ذلك ما تمكّنا من إنجاز هذا العمل.

النّشريات العربيّة :

حوليات الجامعة التونسية : العدد ١٨/١٩٨٠ : اعتقادات المعتزلة والقدرية والصّفاتية والحشوية وفرقها من كتاب الكشف والبيان. تأليف أبي سعيد محمد بن سعيد الأزدي القلهاتي، تحقيق محمد بن عبد الجليل من ص ٨٩ إلى ٢١٤.

الكرّاسات التونسية ١٩٨١ عدد ١١٥-١١٦. عمر بن حمّادي: مقال حول حديث « افتراق الأمّة إلى بضع وسبعين فرقة». ص٢٨٧-٣٥٧.

المراجع العامة والمعاجم العربية

(ترتيب الفبائي)

- ابن منظور (محمد بن مكرم) (٦٣٠/٧٩٩).

لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خيّاط، مرتّب حسب الالف بائية، قدّم له عبد الله العلائلي. ٤ مجلدات. خصص الرابع للمصطلحات العلمية والفنية، عربي فرنسي انقليزي لاتيني. دار لسان العرب بيروت د.ت.

- خير الدين الزركلي :

الأعلام يحتوي على ٥٨ مجلدات دار العلم للملايين بيروت. ط٦. ١٩٨٤.

- محمد فؤاد عبد الباقي :

المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم.- مطابع الشعب ١٩٧٨. المعجم المتوسط أشرف على طبعه عبد السلام هارون.- مطبعة مصر. شركة مساهمة مصرية ١٩٦٠-١٩٦١.

- ونسنك (١٣٥٨/١٩٣٩) :

المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن مسند ابن حنبل. ابتدأ ترتيبه وتنظيمه ونشره ا.ب- ونسنك وي ب منسنج واتبع نشره الاتحاد الأممي للمجامع العلمية. وب دي هاس وي ب فن لون وعات ب دي بروين مع

مشاركة محمد فؤاد عبد الباقي ٧ أجزاء من سنة ١٩٣٦/١٩٦٩.

- ياقوت الحموي (٦٢٦/١٢٢٩) :

معجم البلدان : ٥ مجلدات. دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر. بيروت ١٣٧٤/١٩٥٣.

- دائرة المعارف الإسلامية

. الطبعة الفرنسية.

المراجع الأجنبيّة

(ترتيب ألفبائي حسب أسماء المؤلّفين)

Cuperley Pierre :

- Professions de foi ibadites ، contribution à L'étude de L'ibadisme et de sa théologie. Doctorat d'Etat. Université de Paris - IV - Sorbonne. Lettres et Civilisation. Paris ٢ ١٩٨٢Tomes ، ٦٥٥p ٣e Tome ٢٠٨p + ٧١p. Textes arabes.

Ennami A.K.

Studies in Ibadism. Accompanied by a critical edition of،

١) Section II، part١ of K. Qawaid - Islam of Ismail b. Mu s à al-Jitali.

٢) K. Usul al-Din of Tabghurin b. Dawud. b'Is a al-Malshuti.

٣) Ajwibat Ibn K halfun by'Abu Ya'qub yusuf b Khalfun.

A thèsis submitted to the university of Cambridge for the degree of Doctor of Philosphy. Fitzwilliam College Cambridge May ٤٣٠ ١٩٧١p.

Laoust H.

Les Schismes dans l'Islam، Paris? Payot، ١٩٦٥.

النّشريات الأجنبية :

Békri (Cheikh)

Le Kharijisme berbère. quelques aspects du royaume rustumide. dans A.I.E.O. XV. (1957). 55-108.

Ennami A.K.

A description of new Ibadi manuscipts from North Africa. dans Journal of Semitic. 1970. I.63-87.

فهرس الآيات القرآنية

حسب ترتيب السور

الآيـة	رقمها	السورة ورقمها	الصفحة
هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ..	٧	آل عمران ٣	٤١
وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ.....	٦٩	آل عمران ٣	٢١
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا.....	١٠٣	آل عمران ٣	١٩
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا.....	١٠٥	آل عمران ٣	١٨
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ.....	١٥٣	الأنعام ٦	٢٠
إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ.....	١٥٩	الأنعام ٦	١٩
قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ	١١١	الأعراف ٧	٦٠
وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ	١٨١	الأعراف ٧	٢٣
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ	٤٦	الأنفال ٨	٢٠
وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً	٥٢	المؤمنون ٢٣	٢١
وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا	٩	الحجرات ٤٩	٢١
يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى	١٣	الحجرات ٤٩	٥١
أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ	١٩	المجادلة ٥٨	٢١
أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	٢٢	المجادلة ٥٨	٢١
وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ	٤-٥	البينة ٩٨	١٩

فهرس الأحاديث

(ترتيب ألفبائي)

الحديث	الصفحة
افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة.....	٢٤
الأئمّة من قريش	٣٥
إن أهل الكتابين افترقوا.....	٢٥
إن بني إسرائيل قد افترقت.....	٢٤
إن لم أعدل فمن يعدل.....	٦٤
تفرقت اليهود.....	٢٤
دعوها إنها منتنة.....	٥١
ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.....	٢٣
سيأتي على أمتي ما أتى على بني إسرائيل.....	٢٥
سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم.....	٦٤
القدرية خصماء الله في القدر.....	٧١
القدرية مجوس هذه الأمة.....	٤٧
المشبهة يهود هذه الأمة.....	٤٧
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق.....	٢٣
لتسلكنّ سبيل الأمم قبلكم.....	٤٨
نحن معاشر الأنبياء لا نورث.....	٥٤
هذا سبيل الله مستقيما.....	٢٠

فهرس الأعلام

(ترتيب ألفبائي)

الأعلام	الصَفحة
آدم	١٨-٤٩
إبراهيم حسن	٥١
إبراهيم طلاي	٦٥
إبليس	١٨-٤٧-٤٩
ابن حزم	٤٨
ابن الجزري	٧٢
ابن الجوزي	٢٤-٤٨
ابن خلدون	٣٥-٣٨
ابن خلكان	١٦
ابن سينا	١٦
ابن عبّاس	٤٣
ابن ماجه	٢٣-٢٤-٤٨
أبو بكر الصّديق	٣١-٣٢-٣٦-٤٠-٥١-٥٤-٦٧
أبو الحسن بن حمويه	١٦
أبو الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري	٢٣-٦١-٦٢-٦٧-٦٩-٧٠-٧٢
أبو حنيفة	٦٠
أبو داود	٢٣-٢٤-٢٥-٤٨
أبو الفداء	١٦
أبو القاسم الأنصاري	١٦
أبو جهل	٦٥
أبو سفيان	٣١
أبو عليّ الجبائي	٦١-٦٢
أبو عمر	٤٨
أبو مسلم الخراساني	٥٣
أبو منصور (الإمام)	١٦

أبو موسى الأشعري	٣٣-٦٢
أبو نصر القشيري	١٦
أبو هريرة	٢٤
أبو يوسف	٦٠
أحمد الخوافي	١٦
أحمد الليثي	١٦
أحمد بن حنبل	٢٣-٢٤-٢٥-٣٥-٤٨-٥٤-٦٢
أرسطاطاليس	١٦
أسامة	٣١
أسامة بن زيد الكلبي	٣٩
أسعد الميهني	١٦
الأشعث بن قيس الكندي	٦٧
الأصمّ	٣٩
أمّ فروة	٦٧
أنس بن مالك	٢٤
أيّوب	٧٠
البخاري	٢٣-٥٤-٦٦
البيهقي	١٦
التّرمذي	٢٣-٢٤-٢٥
ثمود	٦٥
الجَعبيري (فرحات)	٧-١٥
جعفر الصّادق	٣٧
جعفر بن الحارث	٤٨
جول لابوام	١٨
حاجي خليفة	١٦
الحاكم النيّسابوري	٢٤
الحجّاج	٤٣
حذيفة	٤٨
حرقوص بن زهير السّعدي	٦٥-٦٦
الحسن البصري	٧٠-٧١
الحسن بن ذكوان	٧٠

الحسن بن عليّ بن أبي طالب	٦٣-٦٧
الحسن بن محمّد	٦٠
الحسين	٣٧
حفص بن سالم	٧٠
حماد بن أبي سليمان	٦٠
الخضر	١٦
الخوارزمي	١٦
الدّارمي	٢٣-٤٨-٥٤
داود بن عليّ الأصبهاني	٦٢
الدّرجيني	٥٩-٦٥
ذرّ بن عبد الله الهمذاني	٦٠
ذو الثدية	٦٦
ذو الخويصرة التّميمي	٦٤-٦٥-٦٦
الرّبيع بن حبيب	٤٨-٦٦
زاهد الكوثري	٥٧-٧٢
الزّبير	٦٠-٦٥-٦٩
الزّركلي	٣٦-٤٠-٤١-٤٥-٥٩-٦٢-٦٣-٦٥-٦٧-٧٠-٧٢
زياد بن حفصة	٥٩
زيد بن عليّ	٣٦-٣٧
زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ	٣٧
السّالمي (عبد الله)	٦٥
سرحان الأزكوي	٥٩
سعد بن أبي وقّاص	٢٤-٥٩-٦٧
سعيد بن جبير الأسدي	٦٠
سفيان الثّوري	٦٢
الشمّاخي	٥٩-٦٦
شهاب الدّين الواعظ	١٦
الشّهرستاني	٧-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧-١٨-٢٢-٢٣-٣١-٣٢-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦-٣٧-٣٨-٣٩-٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧-٤٩-٥٠-٥١-٥٣-٥٤-٥٥-٥٦-٥٩-٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤-٦٦-٦٧-٦٨-٧٠-٧١-٧٢-٧٣-٧٤
الشّيطان	٢٠-٢١

الصّاحب بن عبّاد	٤٨
صدر الدّين الشّيرازي	١٦
طلحة	٦٠-٦٩
طلق بن حبيب	٦٠
عبد الله بن الحارث	٧٠
عبد الله بن الزّبير	٣٨
عبد الله بن سبأ	١٢-٤٠
عبد الله بن طاهر	١٦
عبد الله بن عمر	٣٩
عبد الله بن عمرو	٢٥
عبد الله بن مسعود	٢٠
عبد الله بن وهب الرّاسبي	٣٣-٣٤-٥٩-٦٥-٦٩
عبد الملك بن مروان	٤٣
عثمان	٣٢-٤٠-٤١-٥١-٥٥
عثمان الطّويل	٧٠
عليّ بن أبي طالب	٢٤-٣١-٣٢-٣٣-٣٦-٣٧-٣٨-٣٩-٤٠-٤١-٥٢-٥٩-٦٣-٦٤-٦٥-٦٦-٦٧-٦٨-٧٠-٧٢
عليّ بن أحمد المدائني	١٦
علي حسن فاعور	١٦
علي مهنا (أمير)	١٦
عمّار الطّالبي	٥٠-٥٩
عمر بن الخطّاب	٣٢-٣٦-٣٧-٤٠-٥١-٥٤-٥٥-٦٥
عمر بن حمّادي	١٤-٢٦-٢٧
عمر بن عبد العزيز	٦٣
عمران بن حصين	٤٣
عمرو بن العاص	٣٣
عمرو بن ذرّ	٦٠
عمرو بن مرّة	٦٠
عوف بن مالك	٢٤
غيلان الدّمشقي	٤٣

فاطمة	٣٦-٣٨-٥٤-٦٣
قابوس (السّلطان)	١٣
القاسم	٧٠
قديد بن جعفر	٦٠
كيورتن	١٦
المأمون	١٦-٤٦-٤٧
مالك بن أنس	٢٣-٦٢
المبرّد	٦٥
المتوكّل	٤٦-٤٨
محارب بن زياد	٦٠
المحشّي	٦٦
محمّد (صلّى الله عليه و سلّم)	لاتكاد تخلو من اسمه الكريم صفحة
محمّد أبو زهرة	٣٦
محمّد الطّالبي	٦١
محمّد بن الحسن	٦٠
محمّد بن مسلمة الأنصاري	٣٩
محمّد رشيد رضا	١٩
محمّد عبده	١٩
محمّد فؤاد عبد الباقي	١٦
محمّد محي الدّين عبد الحميد	٦٧
مروان بن الحكم	٣٣-٥٥
مسلم	٢٣-٥٤-٦٥-٦٦
معاوية بن أبي سفيان	٢٥-٣٣-٣٤-٣٥-٥٩-٦٠-٦١-٦٣-٦٤-٦٧-٦٩
معبد الجهني	٤٣
المعتصم	٤٧
مقاتل بن سليمان	٦٠
الملطي	٧٢
المنذري يحى بن محفوظ	٥
المهدي المرتضى	٣٦
المهدي المنتظر	٥٠
موسى (الرّسول)	١٦

موسى الخاقاني	٧٢
نجدة بن عامر (الحروري)	٣٨
النَسائي	٢٣-٥٤
هارون	٤٧
هاني الأرحبي	٥٩
الهرمزان	٦٥
الواثق	٤٧
واصل بن عطاء	٣٦-٧٠-٧١
ونسنك	٣-٦١
ياقوت الحموي	٥٤
يوسف	١٦

فهرس القبائل و الفرق و الملل و الأجناس

(ترتيب ألفبائي)

الفرقة	الصفحة
الإباضيّة	٣٥-٥٦-٦٥-٦٦-٦٧-٦٨
الأزارقة	٦٦-٦٧
الأزد	٧٦
الأشعريّة	٤٤-٤٥-٤٦-٥٢-٥٩-٦١-٦٢-٦٣-٧٢-٧٣-٧٤
آل البيت	٣٨-٣٩-٥٢-٦٤
الإماميّة	٣٧-٦٣
الأنصار	٢٠-٣٢
أهل (أصحاب) العدل والتوحيد	٣٩-٥٢-٥٩-٧٠-٧١
أهل الأهواء	٢٢-٢٥-٣٤-٤١
أهل حروراء	٣٤-٣٨-٦٧-٧٠
أهل الديانات	٢٢-٤١
أهل السنّة و الجماعة	٢٣-٢٦-٣٥-٤٢-٥٢-٦١-٦٢-٦٣-٧٤
أهل الكتاب	٢١-٢٥
أهل النّهروان	٣٤-٦٦-٧٠
أهل الوعد	٦١
الأوس	٢٠
البراهمة	٤١
البربر	٥٣-٥٦
بنو إسرائيل	٢٥
بنو أميّة - الامويون	٣١-٤٠-٤٩-٥١-٥٢-٥٣-٥٥-٥٦-٦٠-٦٣
بنو العبّاس	٢٩-٥٦
بنو تميم	٦٥
بنو حنيفة	٤٣
بنو ضبّة	٧٠
بنو مخزوم	٧٠

بنو مروان	٣٥
بنو هاشم	٣١-٥٤
البيهسيّة	٦٧
الثّعالبة	٦٧
الجبائيّة	٦٢
الجبر	٤٤-٥٢-٦٠-٦١
جماعة المؤمنين	٦٩
الحسنيّون	٨٢
الخزرج	٢٠
الخوارج	٢٢-٢٤-٢٥-٣٩-٤٤-٥٩-٦٠-٦١-٦٤-٦٥-٦٦-٦٧-٦٨
الدّهريّة	٤١
الدّيالمة	٤٨
الرّافضة	٣٧-٤٧
الزّبيريّون	٣٣
الزّنادقة	٢٤-٦٥
الزّيديّة	٣٦
السّبيئة	٤٠
السّلف	٣٥-٦١-٦٢-٦٣
الشّافعيّة	٧٢
الشّراة	٦٦-٦٧-٧٠
الشّيعة	٨-٢٦-٢٧-٣٨-٣٩-٤١-٤٤-٤٥-٥٠-٥٩-٦٤-٧٢
الصّابئة	٤١-٦٥
الصّفاتيّة	٣٥-٤٤-٤٥-٥٢-٥٩-٦١-٦٢-٦٣
الصّفريّة	٥٦-٦٦-٦٧
العباسيّون	٥٣
عبدة الكواكب (الأوثان)	٤١-٦٥
العجاردة	٦٧
العجم	٥٢
العرب	٥٠
عرب تميم	٥٢

عرب الشام	٥٢
عرب تميم	٥٣
عرب العراق	٥٢
العلويون	٥٢-٥٦-٦٣
الفرس	٥٢
القدرية	٩-٢٤-٤٤-٤٥-٤٧-٥٩-٦١-٧٠-٧١
قريش	٣٤-٣٥-٣٩
الكرامية	٤٤-٤٥
كندة	٦٧
الماتريدية	٤-٥٢
المارقون - المارقة	٦٦-٦٧-٦٩
المجسمة	٤٤
المجوس	٢٢-٤١-٤٧-٤٨-٦٥
المحكمة	٣٤-٣٨-٣٩-٥٢-٥٣-٥٦-٥٩-٦٤-٦٥-٦٧-٦٩-٧٢
المرجئة (الإرجاء)	٣٩-٤٤-٤٥-٥٢-٦٠-٦١-٦٩-٧٠
المسلمون	١٩-٢٠-٢١-٢٢-٣٤-٣٩-٤١-٤٣-٥١-٥٥-٥٩-٦٣
المشبهة	٤٧
المعتزلة	٣٥-٣٩-٤٤-٤٥-٤٧-٥٩-٦١-٦٢-٧٠-٧١
المعطلة	٦٢-٦٥-٧٠-٧١
المهاجرون	٢٠-٣٢
النجارية	٤٤
النجدات (النجدية)	٣٨-٣٩-٦٧
النصارى	٢٢-٢٤-٤١-٤٧-٤٩-٦٥
الواصلية	٧٠
الوعيدية (أهل الوعيد)	٤٤-٤٥-٦١-٧٠-٧٢
اليهود	٢٢-٢٤-٤١-٤٧-٥٤-٦٥

فهرس الأماكن

(ترتيب ألفبائي)

المكان	الصَفحة
أرض العرض	٣٨
أرمينية	٧٠
أصبهان	٦٣
إفريقيّة	٥٢-٥٥-٦١
البحرين	٣٨
البصرة	٤٠-٤٣-٥٢-٥٩-٦٢-٧٠
بغداد	١٦-٦٢-٧٠
بيت المقدس	٦٣
بيروت	١٦-١٨-٣٦-٧٢
تونس	٧-١٠-٦١
جامعة السّلطان قابوس	١٢
جامعة الوسط	١٢
جامعة تونس الأولى	١٣-١٤
جبى	٦٢
جربة	١١
الجزيرة	٧٠
الحجاز	٤٠-٥٤
حروراء	٣٤-٣٨-٦٧-٧٥
الحشّان (حومة)	١١
حضرموت	٦٧-٧٠
خراسان	١٦-٥٢

خوارزم	١٦
خيبر	٦٥
دمشق	٤٠-٤٣
سقيفة (بني ساعدة)	٣١-٣٢
سوق الأهواز	٦٥
شهرستان	١٦
الشام	٦٩
صفّين	٢٢-٣٣-٥٩-٦٥-٦٦-٦٧
العراق	٥٢-٥٩-٦٣-٦٧
عسقلان	٧٢
عمان	٥-٣٨
فدك	٦-٥٤
القاهرة	١٩-٦٦-٦٧
القيروان	١٢
كليّة الآداب منّوبة	٤١
الكوفة	٣٦-٣٧-٤٠-٦٧-٧٠
المدائن	٦٧
المدينة	٤٣-٥٣-٦٣-٦٧-٧٠
مصر	٤٠
معهد القضاء (عمان)	١٢
المغرب	٢٥-٥٣-٧٠
ملطية	٧٢
النّظاميّة	١٦
النّهروان	٣٢-٥٩-٦٥-٦٦-٦٧-٧٠
نيسابور	١٦
هجر	٣٨
اليرموك	٦٧
اليمامة	٣٨
اليمن	٤٠-٧٠

فهرس الموضوعات

الموضـــوعـــات	الصّفحة
تقديم الدّكتور يحيى بن محفوظ المنذري	أ
الرّموز	١١
المقدّمة	١٢
توطئة	١٦
أ. القرآن الكريم و قضيّة الفرق	١٧
ب. الحديث الشّريف و قضيّة الافتراق	٢٢
المبحث الأوّل : نشأة الفرق الإسلاميّة	٣٠
١ - العوامل السّياسيّة	٣١
أ) قضيّة الإمامة	٣١
١ – حدث السّقيفة	٣١
٢ – تمخّض الافتراق عن الفتنة	٣٢
ب) قضيّة تعيين الولاة	٤٠
٢ – العوامل الأصوليّة « العقديّة»	٤١
٣ – العوامل الثّقافيّة	٤٧
ا) اللاّهوت اليهودي و المسيحي	٤٩
ب) الفلسفة اليونانيّة	٤٩
ج) الفكر الفارسي الغنوصي	٥٠
د) الفكر الهندي	٥٠
٤ – العوامل الاجتماعيّة	٥٠
٥ – العوامل الماليّة	٥٣
المبحث الثّاني : قضيّة تسميات الفرق و ألقابها	٥٧
تمهيد	٥٩
١ – أنصار معاوية	٦٠

٢ – جماعة علي	٦٤
٣ – المحكّمة	٦٤
٤ – القدريّة	٧٠
الخاتمة	٧٣
الخرائط	٧٥
المصادر و المعاجم	٧٨
المصادر	٧٨
المراجع	٧٩
النّشريّات العربيّة	٨٩
المراجع العامّة و المراجع العربيّة	٩٠
المراجع الأجنبيّة	٩٢
النّشريّات الأجنبيّة	٩٣
فهرس الآيات القرآنيّة	٩٤
فهرس الأحاديث	٩٥
فهرس الأعلام	٩٦
فهرس القبائل و الفرق و الملل و الأجناس	١٠٢
فهرس الأماكن	١٠٥
فهرس الموضوعات	١٠٧

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٤٠٦

مطابع الدار الهندسية/القاهرة
تليفاكس:٣٥٤٠٢٥٩٨ محمول:٠١٢٢٣٤٩٠١١